المائة الثالثة

٤١ - عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام الرضا بن عَبْد الرَّحْمَن الداخل بن مُعَاوِيَة بن هِشَام بن عَبْد الملك بن مَرْوَان، أبو المطرف[١].

وهو عَبْد الرَّحْمَن الأوسط والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس. بُويع له يوم وفاة أبيه الحكم المعروف بالربضي يوم الخميس لثلاث - وقيل: لأربع - بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين.

وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. وكان فصيحاً مفوهاً شاعراً، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبغى والسعايات. وهو الذي أستكمل فخامة الملك بالأندلس، وكسا الخلافة أبهة الجلالة. وظهر في أيامه الوزراء والقواد وأهل الكور، وشيد القصور، وجلب المياه من الجبل، وبنى الرصيف على الوادي؛ وهو القائل متشوقاً ومفتخراً:

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا ... فما أقطع الليل إلا نحيباً
وإما بدت لي شمس النها ... ر طالعة ذكرتني طروباً
فيا طول شوقي إلى وجهها ... ويا كبداً أورثتها ندوباً
ويا أحسن الخلق في مقلتي ... وأوفرهم في فؤادي نصيبا
لئن حال دونك بعد المزا ... ر من بعد أن كنت مني قريباً
لقد أورث الشوق جسمي الضنى ... وأضرم في القلب مني لهيبا

---

(١) الوافي بالوفيات ٦/ ٦٨، وقال الصفدي: وهو عَبْد الرَّحْمَن الأوسط الأمير أبو المطرف صاحب الأندلس. كان عادلاً في الرعية بخلاف أبيه، جواداً فاضلاً له نظر في العلوم العقليلة، وهو أول من أقام رسوم الإمرة وامتنع عن التبذل للعامة، وهو أول من ضرب الدراهم بالأندلس، وبنى سور إشبيلية، وأمر بالزيادة في جامع قرطبة، وكان يشبه بالوليد بن عَبْد الملك، وكان محباً للعلماء مقرباً لهم، وكان يقيم الصلوات بنفسه، ويصلي إماماً بهم في أكثر الأوقات. اسم أمه حلاوة. وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة، ومدته إحدى وثلاثون سنة وخمسة أشهر.

عـــداني عنـــك مـــزار العـــدا ... وقـــودي إلـــيهم لهامـــاً لهيبـــا
كـــأين تخطيـــت مـــن سبـــسب ... وجـــاوزت بعـــد دروب دروبـــا
ألاقـــي بـــوجهي حـــر الهجـــير ... إذا كـــاد منـــه الحـــصى أن يـــذوبا
وأدرع النقـــع حتـــى لبـــست ... ت من بعـد نـضرة وجهـي شـحوبا
أريـــد بـــذاك ثـــواب الإلـــه ... ومـــن غـــيره أبتغيـــه مثيبـــا
أنـــا ابـــن الهـــشامين مـــن غالـــب ... أشـــب حروبـــاً وأطفـــي حروبـــا
بي أدارك الله ديـــــن الهـــــدى ... فأحييتـــه وأصـــطلمت الـــصليبا
ســـموت إلى الـــشرك في جحفـــل ... مـــلأت الحـــزون بـــه والـــسهوبا

وذكر سكن بن إبراهيم الكاتب وغيره أنه أمر لجارية من حظاياه بعقد جوهر كانت قيمته عشرة آلاف دينار، فجعل بعض من حضره من وزرائه وخاصته يعظم ذلك عليه ويقول: إن هذا من الأعلاق المضنون بها، المدخرة للنائبة، فقال له عَبْد الرَّحْمَن: ويحك! إن لابس العقد أنفس خطراً، وأرفع قدراً، وأكرم جوهراً.

ولئن راق من هذه الحصباء منظرها، ولطف إفرندها، لقد برأ الله من خلقه البشري جوهراً تعشى منه الأبصار وتتيه الألباب. وهل على الأرض من شريف جوهرها، وسنى زبرجها، ومستلذ نعيمها، وفاتن بهجتها، أقر لعين، أو أجمع لزين، من وجه أكمل الله حسنه، وألقى عليه الجمال بهجته؟ ثم دعا بعبد الله بن الشمر شاعره وجليسه فذكر له ما كان بينه وبين وزيره في شأن العقد وقال: هل يحضرك شيء في تأكيد ما أحتججنا به؟ قال: نعم، وأطرق بريهة ثم أنشأ يقول:

أتقرن حـصباء اليواقيـت والـشذر ... إلى من تعالى عن سنا الشمس والبدر؟
إلى مـن بـرت قـدماً يـد الله خلقـه ... ولم يـك شـيئاً غـيره أحـد يـبرى؟
فـأكرم بـه مـن صيغة الله جـوهراً ... تـضاءل عنـه جـوهر الـبر والبحـر
لـه خلـق الـرَّحْمَن مـا في سـمائه ... ومـا فـوق أرضـيه ومكـن في الأمـر

فأعجب الأمير عَبْد الرَّحْمَن ببديهته، وتحرك طبعه للقول وأنشأ يقول مناغياً على رويه:

قريضك يا ابن الشمر عفى على الشعر ... وأشرق بالإيضاح في الوهم والفكر
إذا جال في سمع يؤدى بسحره ... إلى القلب إبداعاً يجل عن السحر
وهل برأ الرَّحْمَن في كل ما برا ... أقر لعين من منعمة بكر
ترى الورد فوق الياسمين بخدها ... كما فوف الروض المنور بالزهر
فلو أنني ملكت قلبي وناظري ... نظمتهما منها على الجيد والنحر

فقال له ابن الشمر: يا ابن الخلائف؛ شعرك والله أجود من شعري، وثناؤك عليه أفضل من صلتي، وما منحتك لي إلا تطولاً منك بغير إستحقاق مني، فأضعف جائزته وأكثر الثناء عليه.

وله أيضاً في النسيب:

قتلتني بهواكا ... وما أحسب سواكا
من لي بسحر جفون ... تدبره عيناكا
وحمرة في بياض ... تكسى به وجنتاكا
أعطف على قليلاً ... وأحيني برضاكا
فقد قنعت وحسبي ... بأن أرى من رآكا

وحكى ابن فرج صاحب كتاب الحدائق أنه فرق في يوم فصد له بدراً على من حضره، وعبيد الله بن قرلمان أحد خواصه ومواليه غائب في باديته، فأبتدر فوجد أمراً قد نقذ، فكتب إليه بأبيات منها:

يا ملكاً حل ذرى المجد ... وعم بالإنعام والرفد
طوبى لمن أسمعته دعوة ... في يومك المأنوس بالفصد
فظل ذاك اليوم من قصفه ... مستوطناً في جنة الخلد
وقد عداني أن أرى حاضراً ... جد متى يحظى الورى يكد

فـأمنن بتنـويلي جـداً لم يـزل يعـد أهـل القـرب والبعـد

فوقع في أسفل كتابه: من آثر التضجع فليرض بحظه من النوم! فجاويه ابن قرلمان بأبيات أولها: لا نمت إن كنت يا مولاي محروماً فأمر له بالصلة ورد في جوابه:

لا غـرو أن كنـت ممنوعـاً ومحرومـاً إذ غبت عنا وكـان العـرف مقـسوماً

فلـن ينـال امـرؤ مـن حظـه أمـلاً حتـى يـشد عـلى الإجهـاد حيزومـاً

فهـاك مـن سـيينا مـا كنـت تأملـه إذ حمـت فـوق رجـاء الـورد تحـويماً

٤٢ - ابنه الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم، أبو عَبْد الله[1].

بويع له في صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه، وذلك يوم الخميس غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن ثلاثين سنة. وكان أيمن الخلفاء بالأندلس ملكاً، وأسراهم نفسا، وأكرمهم تثبتاً وأناة؛ وكان السعي عنده ساقطاً. يجمع إلى هذه الخلال الشريفة البلاغة

---

(١) الوافي بالوفيات ١/ ٣٨٨، وقال الصفدي: الأموي ملك الأندلس مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام الأموي والي الأندلس، كان عالماً فاضلاً عاقلاً فصيحاً، يخرج إلى الجهاد ويوغل في بلاد الكفار السنة والسنتين وأكثر فيقتل وسبي وهو صاحب وقعة وادي سليط وهي من الوقايع المشهورة لم يعرف قبلها مثلها في الأندلس وللشعراء فيها أشعار كثيرة يقال إنه قتل فيها ثلث مائة ألف كافر، وقال بقي بن مخلد: ما رأيت ولا علمت أحداً من الملوك أبلغ لفظاً منه ولا أفصح ولا أعقل، ذكر يوماً الخلائف وصفتهم وسيرتهم ومآثرهم بأفصح لسان فلما وصل إلى نفسه سكت وكان خيرهم، بويع يوم مات والده سنة ثمان وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل فأقام والياً خمساً وثلثين سنة وأمه أم ولد وكان محباً للعلماء وهو الذي نصر بقي بن مخلد وولى بعده ولده المنذر بن مُحَمَّد، يقال إنه توفي سنة خمس وسبعين ومائتين وقيل سنة ثلث وسبعين.

مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عمارة بن القعقاع بن شبرمة أبو قبيصة الضبي، كان صالحاً عابداً مجتهداً قال: تزوجت بأم أولادي هولاء فلما كان بعد الإملاك قصدتهم للسلام فاطلعت من شق الباب فرأيتها فأبغضتها وهي معي من ستين سنة، وقال اسمعيل بن علي: سألته عن أكثر ما قرأ في يوم وكان يوصف بكثرة الدرس وسرعته فامتنع أن يخبرني فلم أزل به حتى قال: قرأت في يوم من أيام الصيف الطوال أربع ختمات وبلغت في الخامسة إلى براءة وأذن العصر، وكان من أهل الصدق سمع سعيد بن سليمان وغيره وروى عنه الخطبي وغيره وكان ثقة، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

والأدب. وتوفي يوم الخميس منسلخ صفر - وقيل لليلة بقيت منه - سنة ثلاث وسبعين ومائتين وهو ابن خمس وستين سنة، فكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً. وهو القائل في منصرفه من بعض غزواته:

فقلت فأغمدت السيوف عن الحرب ... وما أغمدت عني السيوف من الحب
صدرت وبي للبعد ما بي، فزادني ... إلى الشوق أشواقاً رجائي في القرب
أحل شدادي في السرادق نازلاً ... وللشوق عقد ليس ينحل عن قلبي
أقرطبة، هل لي إليك وفادة ... تقر بعيني أو تمهد من جنبي؟
سقى القصر غيث بالرصافة مثله ... وجادت عزاليه كجودي في الجدب
عداني عدو عن حبيب، فزرته ... بجيش تضيق الأرض عن عرضه الرحب
إذا أسود من ليل الدروع تبلجت ... أسنته فيه عن الأنجم الشهب
على أنني حصن لجيشي إذا التقوا ... وعزمي بهم أدنى السيوف إلى الضرب

وله:

ذكر الصبوح فظل مصطبحا ... يستعمل الإبريق والقدحا
ما زال حيا وهو يشر بها ... حتى أماتته الكؤوس ضحى

٤٣ - ابنه الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد، أبو مُحَمَّد[1].

ولي بعد أخيه أبي الحكم المنذر بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن في صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وتوفي سنة ثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، فكانت خلافته خمساً وعشرين سنة.

وكان أديباً، شاعراً، بليغاً، بصيراً باللغة والغريب وأيام العرب. وفي أيامه أضطرمت نار الفتنة بالأندلس فتنغص عليه ملكه.

---

(١) العبر في خبر من غبر ١/ ٢٠٨.

ومن مشهور شعره ما وقع به إلى الوزراء في قصة موسى بن حدير وعيسى ابن أحمد بن أبي عبده، إذ أراد كل واحد منهما أن يكون مجلسه فوق الآخر، فسخاً لما كان قد رتبه والده الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن من رفع الموالي الشاميين على البلديين:

مولى قريش من قريش فقدموا ... موالي قريش لا موالي معتب

إذا كان مولانا يساوم عندنا ... سواه فمولانا كآخر أجنبي

حول اسم مغيث إلى معتب إغماضاً وانقياداً للقافية.

وله في النسيب:

يا كبد المشتاق ما أوجعك ... ويا أسير الحب ما أخضعك

ويا رسول العين من لحظها ... بالرد والتليغ ما أسرعك

تذهب بالسر وتأتي به ... في مجلس يخفى على من معك

كم حاجة أنجزت موعدها ... تبارك الرَّحْمَن، ما أطوعك!

وله في ذلك:

ويحي على شادن كحيل ... في مثله يخلع العذار

كأنما وجنتاه ورد ... خالطه النور والبهار

قضيب بان إذا تثنى ... يدير طرفاً به أحورار

وقف عليه صفاء ودي ... ما اختلف الليل والنهار

وله في الزهد:

يا من يراوغه الأجل ... حتام يلهيك الأمل

حتام لا تخشى الردى ... وكأنه بك قد نزل

أغفلت عن طلب النجا ... ة ولا نجاة لمن غفل

هيهات يشغلك الرجا ... ء ولا يدوم لك الشغل

وله في مثله:

أرى الدنيا تصير إلى فناء ... وما فيها لشيء من بقاء
فبادر بالإنابة غير لاو ... على شيء يصير إلى فناء
كأنك قد جلست على سرير ... وصار جديد حسنك للبلاء
فنفسك فابكها أو نح عليها ... فربتما رحمت على البكاء

وكان يفضل أدبه، ربما أسترسل، فقال بحسب ذلك أو تمثل، ثم لا يدعه كرم الأوائل، وشرف الشمائل، حتى يدنى من أقصاه، ويبدي لمن أعتب رضاه. قال في النضر بن سلمة الكلابي:

أنت يا نضر آبده ... لست ترجى لفائده
إنما أنت عدة ... لكنيف ومائده

وعلى ذلك استقضاه مرتين، ثم استوزره وأستقضى أيضاً أخاه مُحَمَّد بن سلمة تقيلا للأخلاق الحكمية، وجرياً على الأعراق العبشمية.

وقرأت في تاريخ الحميدي، أن الوزير سليمان بن وانسوس - وكان من رؤساء البربر - دخل عليه يوماً - وكان عظيم اللحية - فلما رآه مقبلا جعل الأمير عَبْد الله ينشد:

هلوفة كأنها جوالق ... نكراء لا بارك فيها الخالق
للقمل في حافاتها نفائق ... فيها لباغي المتكا مرافق
وفي احتدام الصيف ظل رائق ... إن الذي يحملها لمائق

ثم قال له: أجلس يا بربرى؛ فجلس وقد غضب فقال: أيها الأمير؛ إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم، وأما إذ صارت جالبة للذل فغنينا عنكم، فإن حلتم بيننا وبينها فلنا دور تسعنا، لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها ثم وضع يديه في الأرض وقام من غير أن يسلم، ونهض إلى منزله، فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دسته الذي كان يجلس عليه؛ وبقي كذلك مدة.

ثم إن الأمير عَبْد الله وجد فقده لغنائه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه، فقال للوزراء: لقد وجدت لفقد سليمان تأثيراً، وإن أردت استرجاعه ابتداء منا كان ذلك غضاضة علينا، ولوددت أن يبتدئنا بالرغبة، فقال له الوزير مُحَمَّد بن الوليد بن غانم: إن أذنت لي في المسير إليه استنهضته إلى هذا فأذن له. فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بنى أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه أولا لحظة، فأبطأ الإذن على ابن غانم حيناً، ثم أذن له، فدخل عليه فوجده قاعداً، فلم يتزحزح له ولا قام إليه. فقال له ابن غانم: ما هذا الكبر؟ عهدي بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه تتلقاني على قدم وتتزحزح لي عن صدر مجلسك، وأنت الآن في موجدته بضد ذلك! فقال له: نعم. لأني كنت حينئذ عبداً مثلك، وأنا اليوم حر، فيئس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه، ورجع إلى الأمير فأخبره؛ فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ورده إلى أفضل ما كان عليه.

٤٤ - يعقوب ابن الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بن هشام.

ويكنى أبا قصي؛ كان أديباً شاعراً مطبوعاً كلفاً بالعلوم، جواداً لا يليق شيئا، وهو القائل في ابن أخيه أبي أمية العاصي ابن الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن من قصيدة:

تنادى ماجداً من عَبْد شمس ... زكي الفرع مفضال اليدين

سما للمكرمات فقد حواها ... بهندي وخطار ردينـي

وغيثاً حين يسكب لا الثريا ... به جادت ولا نوء البطين

ما أحسن قول أبي مَرْوَان بن حيان، وذكر ثناء مُعَاوِيَة بن هِشَام الشبينسى على أبي قصي هذا: أقول: وصفه بالطبع في الشعر، ثم لم ينشد له ما يصدق وصفه، بل أنشد له ثلاثة أبيات من قصيدة مدح بها ابن أخيه العاصي ابن الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن ليست بطائل. وله مما قرأت في كتاب الحدائق لابن فرج:

يا ابن الخلائف من بني فهر ... [.....] الزهر

يـــا أكـــرم الأمـــلاك كلهـــم [.....][1] مـــــــــضطر

إن الـــصيام قـــد أنقـــضى ومـــضى ينـــدى يـــديك [...][2] البـــشر

٤٥ - أخوه بشر ابن الأمير عَبْد الرَّحْمَن.

ذكر أبو مُحَمَّد بن حزم في كتاب "جمهرة الأنساب" أنه كان شاعراً، وأنشد له أبو عمر بن فرج صاحب كتاب "الحدائق":

حجابـك لي عـن الـدنيا حجـاب ويـــوم لا أراك بـــه عـــذاب

وقد كانـت تـضيق الأرض عنـدي إذا واراك ســـــتر أو نقـــــاب

فكيـــف أعـــيش إذ واراك عنـــي قـــصور دونهـــا بـــاب فبـــاب؟

وليعقوب وبشر هذين إخوة جلة منهم هشام، وكان من أهـل العلـم والفـضل والبـصر بالعربية، وأكثر من الرواية عن يحيى بن يحيى. وكان أبوه الأمير عَبْد الرَّحْمَن الحكم قد نصبه في خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره وأكابر رجاله، كما نصب عَبْد الـرَّحْمَن بـن مُعَاوِيَـة ابنـه هشاماً. ومنهم أبان وعثمان على أختلاف فيه، وهما ابنا عَبْد الرَّحْمَن بـن الحكـم، وكانـا أديبـين شاعرين، وسيأتي ذكرهما في آخر التأليف إن شاء الله تعالى.

٤٦ - القاسم ابن الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن ابن الحكم، أبو مُحَمَّد.

كان من الأدباء الشعراء، إلا أنه مقل. وكـان أحـد الجبـابرة الموصـوفين، شـديد البـأس وتياهاً؛ وقبض عليه أخوه الأمير عَبْد الله فمات في حبسه مسموماً.

ومن شعره وبديهته السائرة في الناس، وقد دخل دار أخيه عثمان بن مُحَمَّد فأستـسقى مـاء فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها، وأنشأ يقول:

المـــاء في دار عـــثمان لـــه ثمـــن والخبـز فيهـا لـه شـان مـن الـشان

فأسلح على كـل عـثمان مـررت بـه إلا الخليفـــة عـــثمان بـــن عفـــان

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

كذا قال ابن حيان، وهو غلط لا خفاء به. وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عَبْد الرحيم الحارثي أنشدهما أبو عمر بن عَبْد البر النمري في كتاب بهجة المجالس من تأليفه وهي:

يا أخت كندة جافي شرب عثمان ... وأزمعي لبنى أود بهجران
يا أخت كندة سيري سير ساخطة ... كي تنتوى منتوى غضبي وغضبان
الماء في دار عثمان له ثمن ... والخبز فيه له شأن من الشان
عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن ... لكنه يشتهي جمداً بمجان
والناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً ... حتى يروا عنده آثار إحسان
أغسل يديك بأشنان وأنقهما ... غسل الجنابة من معروف عثمان
واسلح على كل عثمان مررت به ... إلا الخليفة عثمان بن عفان

وأنشد له الحميدي وقال فيه القاسم غلط منه:

سكنت من قلبي الهوى ما أمكنا ... ولقد أراه للصبابة معدناً
هذا هلال قد بدا ومدامة ... تجرى براحته وعيش قد هنا

وله أبيات كتب بها إلى مُحَمَّد بن عَبْد العزيز العتبي الأديب لم يجد رصفها فرأيت حذفها.

٤٧ - المطرف ابن الأمير مُحَمَّد، أبو القاسم شقيق القاسم المذكور آنفاً.

برع في الشعر وهو ابن عشرين سنة، وتوفي معتبطاً في حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين، وكان آدب ولد الأمير مُحَمَّد وأشعرهم. ذكر ذلك ابن حيان، وقال أبو مُحَمَّد بن حزم في كتاب جمهرة الأنساب من تأليفه - وذكر المطرف هذا: كان شاعراً مفلقاً، عالما بالغناء. وكان له عقب قد انقرض.

وأنشد له صاحب "الحدائق" يرثى أخاه عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد:

أخ كان إن لم يمرع الناس أصبحت ... مواهبه للناس وهي مرابع
كثير عليك الحزن من كل جانب ... كما كثرت من راحتيك الصنائع
عليك سلام الله، إن الندى له ... زوال وإن السعي بعدك ضائع

وله فيه:

يـــا عابـــد الـــرَّحْمَن مـــا ... أوضـــح فينـــا ســـبلك
أيقظـــت شـــعري أبـــداً ... فـــالقول لي والفعـــل لـــك
مـــا الثكـــل والحـــسرة [.. ... .]
يـــا مـــوت أعجلـــت فتـــى ... في الـــروع قـــدماً أعجلـــك

وله أيضاً:

أشهى من الكـاس حامـل الكـاس ... أرعـاه مـا طـاف حـول جـلاسي
يثقـل مـن أجلـه الجليس ولـو ... كـان مـن النـسك آمـن النـاس

وكتب إلى أخيه المنذر بن مُحَمَّد، وكان مائلا إليه:

هـل أتكـى مـشرفاً عـلى نهـري ... أرمـي بطـرفي إليـه مـن قـصري
عنـد أخ لـو دهتـه حادثـة ... أعطيتـه مـا أحـب مـن عمـري
نـشرب نحليـة فـضيلتها ... أتحفـت الخمـر ذلـة الخمـر؟

فوعده الكون عنده، فكتب إليه يستنجزه:

ولـوع الـنفس بالوعـد الـوفى ... وإنجـاز المقـال عـلى الـولي
فـإن أرضـاك أن نغـدو ضـحاء ... وإلا كـان ذاك مـع العـشى
نكـون ثلاثـة أنـت المبـدى ... ونحـن إليـه، ثـم أبـو عـلي

وله في الشيب:

إن شـــيباً وصـــبوة لمحـــال ... قـــد أنـــى أن يكـــون عنهـــا زوال
ركـب الـشيب لمتـى خلـل الـشعـ ... ـر لوقـت حالـت بـه الأحـوال
فـدع الـنفس عـن مـزاح ولهـو ... تلـك حـال مـضت وجـاءت حـال

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

ولمُحَمَّد بن عَبْد العزيز العتبي فيه، يفضل شعره على أشعار إخوته وأقربائه

يغنـــى مـــامعنا لديـــه حواليـــاً ... بـــلآلى مـــن لفظـــه وزبرجـــد

والـشعر يـسجد نحـو قبلـة شـعره ... ولغـــير قبلـــة شـــعره لم يـــسجد

٤٨ - إبراهيم ابن الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن، أخوهما.

أنشد له ابن فرج في كتاب "الحدائق":

دنـــــوك منـــــي في منـــــزلي ... هـــــو الملـــــك يـــــسره الله لي

فيكنفنـــــا جانـــــبٌ واحـــــد ... ويجمعنـــا الـــشرب مـــن منهـــل

وإن حـــال دونـــك بابـــا حديـــد ... وقـــصر مـــشيد مـــن الجنـــدل

هؤلاء المروانيون في هذه المائة.

ومن الحسنيين فيها:

٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عَبْد الله ابن حسن بن حسن بن علي[1].

ولي البصرة وطنجة وما يليهما لأخيه مُحَمَّد بن إدريس القائم بعد أبيه سلطان المغرب. وكان إدريس قد ولد مُحَمَّداً هذا والقاسم وأحمد وعبد الله وعيسى وإدريس وجَعْفَراً ويحيى وحمزة وعبيد الله وداود - وبه كان يكنى - وعمر، وبنات.

ولما توفي إدريس مسموماً في حية عنب سنة ثلاث عشرة ومائتين - كما تقدم ذكره - اجتمعت البربر على مُحَمَّد، فبايع له إخوته جميعاً، واتخذ مدينة فاس قراراً، وفرق بلاد الغرب عليهم؛ فنكث أخوه عيسى ابن إدريس وخرج عليه، فكتب مُحَمَّد إلى القاسم يأمره بمحاربته إذا كان يحاديه في ولايته، فأبى القاسم وكتب إليه معتذراً من توقفه عما أمره به:

سأترك للراغب الغرب نهباً ... وإن كنت في الغرب قيلا وندبا
وأسمو إلى الشرق في همة ... يعز بها رتباً من أخبا
وأترك عيسى على رأيه ... يعالج في الغرب هماً وكربا
ولو كان قلبي عن قلبه ... لكنت له في القرابة قلبا
وإن أحدث الدهر من ريبه ... شقاقاً علينا وأحدث حربا
فإني أرى البعد ستراً لنا ... يجدد شوقاً لدينا وحبا
ولم نجن قطعاً لأرحامنا ... نلاقي به آخر الدهر عتبا
وتبقى العداوة في عقبنا ... وأكرم به حين نعقب عقبا
وأوفق من ذاك جوب الفلاة ... وقطع المخارم نقباً فنقبا

---

(١) الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٢٧، وقال الصفدي: كان القاسم المذكور أكبر ولد إدريس وأجلهم وفي القاسميين كان معظم الإمامة من الأدارسة، وله حصلت سبتة وخطب له فيها بالخلافة بعد أبيه وجرت بينه وبين عمال بني أمية حروب.

فكتب مُحَمَّد إلى أخيه عمر - وكان على ضهاجة وغمارة - يأمره بمحاربة عيسى، فأجابه وسارع وخرج يريد عيسى بعسكره. فلما قرب من أحواز فاس كتب إلى مُحَمَّد يستمده، فبعث إليه من كان معه، ونفذ في أصحابه قبل لحاق المدد، فأوقع بعيسى ونفاه عن عمله واستولى عليه، فأمره مُحَمَّد بالإقامة فيه، ثم أمره بمحاربة القاسم، فحاربه وتغلب على ما كان بيده، فتخلى القاسم عن ذلك لمُحَمَّد وعمر، وتزهد وبنى مسجداً على ساحل البحر بأصيلا ولزمه.

فلما عاين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمرابطه فصرفوه إلى عمله، ورجع إليه كل من صدر إلى أخويه مُحَمَّد وعمر.

وقال الرازي، وذكر أولاد إدريس بن إدريس: فأما مُحَمَّد بن إدريس فولى مدينة فاس بعد أبيه، وقسم عمل أبيه على إخوته وأخرجهم عمالاً، ثم أخلد إلى اللهو وأشتهر بالشرب والخلوة بالنساء، فخلعه إخوته وملك كل واحد منهم ما تحت يده. ثم لم يلبث مُحَمَّد أن هلك ولم يعقب، فولى أمر فاس بعده القاسم أخوه، وملكها ملك سيادة، وتجمع الناس إليه من كل ناحية، ولحق المنفيون عن ريض قرطبة بها، وتمدنت وكثر أهلها.

ومن رجال المَرْوانية:

٥٠- عَبْد الكريم بن عَبْد الواحد بن مغيث الحاجب، أبو حفص[١].

استحجبه الحكم الربضي، وكان أبوه عَبْد الواحد حاجباً لهشام الرضا والد الحكم. وعن ابن حيان أن هشاماً ولى عَبْد الكريم هذا كورة جيان، وأنه أغزاه ألبة والقلاع، وأغزى أيضاً أخاه عَبْد الملك وولاه سرقسطة.

وكان عَبْد الكريم بليغاً مفوهاً شاعراً، وولى الكتابة للحكم إثر مُحَمَّد بن أمية، وقاد الصوائف، وجرت على يديه فتوح جسام. وعلى يديه أستأمن أهل الربض؛ وله رسائل عن الحكم في الهيج. ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازي، قال: وأخرجه الحكم إلى عمروس - وكان قد خلع بسرقسطة - فأستماله وقدم به قرطبة، فوصله الحكم وخلع عليه وسجل له على سرقسطة وتطيلة ووشقه، وصرفه إلى الثغر فمات هناك. وأنشد ابن حيان لعبد الكريم هذا في رثاء الحكم بن هِشَام وتهنئة ولده الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بالخلافة:

كان الزمان مرزأ بخليفة ... أودى فكاد نهارنا أن يظلما
حتى إذا قعد الإمام لبيعة ... كالغيث شح بوبله ثم أنهمى
لله أية بيعة ما أعظما ... وأجل فخراً في الأنام وأفخما
أعطت قريش بيعة مرضية ... لإمامها الملك الكريم المنتمي
وبدا كمثل البدر ينصدع الدجى ... عنه ويكشف نوره ما أبهما
لله أنت أبو المطرف في الوغى ... ولخائف ولمعتف قد أعدما

٥١- هاشم بن عَبْد العزيز الوزير، أبو خالد[٢].

هو أخو القاضي أسلم بن عَبْد العزيز وكبيره، وولاء سلفهما لعثمان بن عفان رضي الله عنه. وكان هاشم خاصاً بالأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن: يؤثره بالوزارة، ويرشحه مع بنيه،

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس ١/ ٣٣١.

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١/ ٢٣٠.

ومفرداً، للقيادة والإمارة. وولاه كورة جيان، فعلى يده بنيت أبدة وأكثر معاقلها المنيعة. وهو أحد رجالات الموالي المروانية بالأندلس.

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في سواه من أهل زمانه، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة، إلى ما له من القديم والبيت والسابقة. فلو لم يعنه سلفه، لنهضت به أدواته هذه الرفيعة.

ونكبه المنذر بن مُحَمَّد لأشهر من خلافته، بعد أن ولاه الحجابة وأظهر عنه الرضا، وذلك لأشياء حقدها عليه في خلافة أبيه مُحَمَّد، إذ كان يخرجه معه قائداً للجيش وبعد ذلك.

وحكى عيسى بن أحمد بن مُحَمَّد الرازي في كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس من تأليفه، أن المنذر بن مُحَمَّد استخلف يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين، بعد وفاة أبيه بأربع ليال، إذ كان غازياً بناحية رية؛ فأغذ السير ودخل القصر يوم الأحد وصلى على أبيه - وكانت وفاته ليلة الخميس لليلة بقيت من صفر - ودفن. وبويع للمنذر بقية الأحد ويوم الأثنين بعده، واستحجب هاشم بن عَبْد العزيز إلى أن قتله.

قال: ولما قدم المنذر نزل في السطح وقعد للبيعة في ثياب سفره، وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصب وألم السفر لطيه المراحل. فلما دخل الناس قام هاشم وبيده كتاب البيعة فأفتتح قراءته، فلما بلغ إلى ذكر الإمام مُحَمَّد حنقته العبرة، فلم يبن كلامه. ثم أستدرك أمره ورجع من أول الكتاب، حتى إذا انتهى إلى الموضع الذي انتهى إليه أولا أخذه أيضاً الحصر، فلحظه المنذر لحظة منكرة، ورآها منه هاشم فمضى في قراءة الكتاب حتى أكمله. فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله. قال: ولما وضع نعش الإمام مُحَمَّد على قبره، ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاء شديداً، ثم قال متمثلا وهو يقبر:

أعزى يا مُحَمَّد عنك نفسي ... معاذ الله والمنن الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا ... ودوفع عنك لي كاس الحمام

فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة المنذر؛ والبيتان لأبي نواس الحسن ابن هانيء يقولهما في مُحَمَّد الأمين حين قتل.

قال الرازي: وذكر أن مُحَمَّد بن جهور وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه ويغريان به، وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وهم، فتنفس هاشم فرفع عنه. قال: وحدث من كان حاضراً عند هاشم - يعنى يوم القبض عليه - إذ أقبل صاحب الرسائل مستحثاً له، فخرج هاشم ومعه عمر ابنه فقبض منه كتباً كانت بيده. وكان في رحبة داره قوم من أهل لبلة قد أتوا لشكر ابن أخيه - وكان عاملهم - فلما خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر، فانتهرهم الفتى الذي أتى فيه وخرج عليهم وأغلظ لهم وقال لهم: يا كذبة!. قال: فرأيت هاشماً قد أربد وجهه، غير أنه لم يقارضه بكلمة، ومضى.

وكان تحته فرس رائع أشقر، فلما أتى عند باب الجنان كبا الفرس بهاشم فأستقل به ووقف وقد امتقع لونه ساعة، ثم تقدم ودخل. قال: فلم ينفض أهل موكبه حتى خرج راجلاً مكبلاً، فو الله ما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم، ولو قلت إنه لم تخل دار بقرطبة من بكاء على هاشم يوم حبس لما أبعدت ولصدقت، فإنه كان رحمة مبسوطة للعامة والخاصة.

قال: وأمر المنذر بحبس أكابر أولاده، غير فإنه كان عينا للمنذر عليه، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره، ولم يزل عَبْد الملك بن أمية يغرى به ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت المنذر في مطالبته، حتى كان من ضربه وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان.

قال: وأخرج هاشم صبيحة الليلة التي قتل فيها - ليلة الأحد لأربع بقين من شوال سنة ثلاث وسبعين - غطيت جثته ورأسه بثوب، وبعث به إلى أهله. وكان مولده في أيام الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم. ومن شعره، وكتب به من محبسه إلى جاريته عاج:

وإني عنداني أن أزورك مطبق ... وباب منيع بالحديد مضبب
فإن تعجبي يا عاج مما أصابني ... ففي ريب هذا الدهر ما يتعجب
وفي النفس أشيا أبيت بغمها ... كأني على جمر الغضى أتقلب
تركت رشاد الأمر إذ كنت قادراً ... عليه فلاقيت الذي كنت أرهب
وكم قائل قال: أنج ويحك سالماً ... ففي الأرض عنهم مستراد ومذهب
فقلت له: إن الفرار مذلة ... ونفسي على الأسواء أحلى وأطيب

سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ... وما من قضاء الله للمرء مهرب

فمن يك مسروراً بحالي فإنه ... سينهل في كاسي وشيكاً ويشرب

وله، وكتب به إلى وليد بن غانم الوزير في أسره أثناء مخاطبة:

فكم غصة بالدمع نهنهت خوف أن ... يسر بها أبديه شنآن كاشح

تحاملت عنه ثم نادمت في الدجى ... نجوم الثريا والدموع سوافح

وله مما قاله بديهاً، ووقع بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها بشعر ضعيف:

لا تقل إن عزمت إلا قريضاً ... رائقاً لفظه، ثقيفاً رصينا

أودع الشعر، فهو خير من الغث، إذا لم تجد مقالا سميناً وما أحسن قول عَبْد الجبار بن حمديس الصقلي في هذا المعنى:

حرر لمعناك لفظاً كي تزان به ... وقل من الشعر سحراً، أو فلا تقل

فالكحل لا يفتن الأبصار منظره ... حتى ينصير حشو الأعين النجل

ولهاشم في إلبيرة يذم وروده عليها، وهي مكان أوليته:

إذا نحن رحنا عنك يا شر بلدة ... فلا سقيت رباك صوب الرواعد

ولا زال سوط من عذاب منزل ... على قائم من ساكنيك وقاعد

فأجابه فتى من أهلها المتأدبين يعرف بابن وجيه:

لقد حرم التوفيق من ذم بلدة ... يروح بها في نعمة وفوائد

ومن يتمنى سوط خزى منزل ... على قائم من ساكنيها وقاعد

فإن كنتم لم تحمدوا ما أختبرتم ... فكل لكل لائم غير حامد

٥٢ - ابنه عمر بن هاشم[1].

سجنه الأمير المنذر بن مُحَمَّد مع إخوته لما نكب أباهم، ثم أمر بصلبهم في الغزاة التي توفي فيها.

---

(١) السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٢/ ٤٧١.

وولى أخوه الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد فعجل الكتائب بإطلاقهم، ثم قدم وولى عمر هذا كورة جيان، وأخاه أحمد بن هاشم الوزارة والقيادة. ومن شعر عمر:

يا خليلاً فضله بادٍ ... على كل خليل
والمجيد الشعر في كل ... من بسيط وطويل
بضروب الضرب والإي ... قاع والقول الأصيل
لا تلمني وأصفحن ... عني وسهل لي سبيلي
في خلاصي [.... ....][1] العذر الجميل

٥٣ - تمام بن عامر الثقفي الوزير، أبو غالب[2].

هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة، مولى عَبْد الرَّحْمَن ابن أم الحكم الثقفي؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت مُعَاوِيَة ابن أبي سفيان، عرف بها ابنه لشرفها.

ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأَنْدَلُس في طالعة بلج، وهو أحد النقباء القائمين بدولة عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، وولى له الحجابة والقيادة. وهو افتتح طليطلة عنوة مع بدر مولى عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، ثم ولى وشقة وطرطوشة وطرسونة؛ وعمر طويلاً وتوفي في آخر دولة الحكم الربضي.

وقد ولد تمام بن عامر هذا سنة أربع وثمانين ومائة، وكان غالب بن تمام والياً على طليطلة، وقتله سليمان بن عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة وصلبه ومثل به في أنتزائه على أخيه هِشَام بن عَبْد الرَّحْمَن الأمير بعد أبيهما.

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

(٢) الأعلام ٢/ ٨٦، وقال الزركلي: وزير من الفضلاء. من أهل الاندلس. ولي الوزارة لمُحَمَّد بن الرَّحْمَن، ولولديه المنذر و عَبْد الله، فانتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء. وعمر طويلا.

وكان عالما أديبا، له (أرجوزة) أرخ بها افتتاح الاندلس وولاتها وخلفاءها وحروبها منذ دخول طارق زياد إلى آخر أيام عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم.

وولى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله، فأنتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء. وعمر عمراً طويلا زائداً على عمر جده الأكبر، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ ستاً وتسعين سنة. وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأَنْدَلُس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها ووصف حروبها، من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم.

وكان عالماً أديباً، ذكر ذلك ابن حيان. وقال أبو بكر الرازي: ولد عامر ابن أحمد تماماً؛ ولى الوزارة والخيل والقيادة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين - يعني ومائتين - ومولده سنة أربع وتسعين ومائة. ومن شعره:

يكلفني العذال صبراً على التي ... أبي الصبر عنها أن يحل محلها

إذا ما قرعت النفس يوماً فأبصرت ... سبيل الهدى عاد الهوى فأضلها

وكم من عزيز النفس لم يلق ذلة ... أقاد الهوى من نفسه فأذلها

عجبت لمعذول على حب نفسه ... يكلفه عذاله أن يملها

٥٤ - منصور بن مُحَمَّد بن أبي البهلول.

دخل الأَنْدَلُس جده أبو البهلول - وأسمه منصور بن صدقة - في أيام الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة فاستعمله، وكان يكنيه لسنه وفضله؛ ثم تصرف ابنه مُحَمَّد للأمير الحكم في بعض أشغاله؛ وحجب منصور هذا مسلمة بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم في الكور المجندة دهراً، ثم ولى العرض للأميرين مُحَمَّد وابنه المنذر بن مُحَمَّد؛ ذكره الرازي، قال: وكان فيه تصرف ورواية غزيرة وشعر حسن يمدح به الخلفاء، وأنشد له:

كما أن خير العالمين مُحَمَّد ... براحته عين من الجود تنبع

وله:

بمُحَمَّد حمد الزمان كما ... بفعاله قد أحسن الذكر

أيامه بيض مهذبة ... لولا مكارمه انقضى الدهر

وله:

كـــم، إلى كـــم أتـــسلى؟ لـــيس لي صـــبر.. أجـــل، لا!
بـــأبي أنـــت وأمـــي وتـــرى قـــتلى جـــلا؟
حـــاش لله بـــأن أسـ لـــو عـــن الحـــب وكـــلا

٥٥- عبيد الله بن مُحَمَّد بن الغمر بن أبي عبدة الوزير، أبو عثمان.

تصرف للأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد في الكور وحجابة الأولاد والمدينة والخيل والقيادة، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة. وكان - مع أفتنانه في الأدب وأتصافه بالبلاغة - ذا بأس وغناء في الحروب، وكانت له فتوح جمة ومقاوم محمودة. وتوفي خاملا بتحامل بدرِ الوصيف عليه بعد أن استأذن للحج، فأدى فرضه وكر إلى قرطبة فلزم داره، وسيأتي ذكر هذا مع نسبه مستوفي عند ذكر ابنيه جهور الوزير ومُحَمَّد. وفيه يقول العتبي الشاعر، وقد أعتل وهو يلي الكتابة:

لأينـع العـيـ مـذ أصـبحت مرتـدياً ثوب السقام وجفت زهـرة الكلـم
وأستوحش الطرس من أنس البديع إذا نشبت فيـه وطالـت عجمـة القلـم

ومن شعر عبيد الله:

صـــدود لـــيس يبلغـــه عقـــاب وعتـــب لـــيس يثنيـــه عتـــاب
وإبعـــاد بـــلا ذنـــب طويـــل وإعـــراض وهجـــر وأجتنـــاب
فـــلا ســـهر يطيـــب ولا رقـــاد ولا طعـــم يـــسوغ ولا شراب
فجـــسمي ناحـــل والجفـــن منـــي قـــريح، والفـــؤاد لـــه اضـــطراب
ومـــوت عاجـــل أحـــلى وأشـــهى إلى مـــن أن يطـــاولني العـــذاب

٥٦- سوار بن حمدون القيسي المحاربي[1].

---

(١) الأعلام ٣/ ١٤٤، وقال الزركلي: سوار بن حمدون بن يحيى الالبيري القيسي المحاربي: زعيم، ثائر. كان شجاعا عارفا بالادب. ثار في الاندلس بناحية البراجلة (من كورة إلبيرة) سنة ٢٧٦ هـ.

من محارب بن خصفة بن قيس عيلان. ثار بناحية البراجلة من كورة إلبيّرة في سنة ست وسبعين ومائتين، وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عَبْد الله ابن مُحَمَّد، وانضوت إليه بيوتات العرب من إلبيرة وجيان ورية وغيرها، عندما تميزت الأحزاب بالعصبية وشبوا نار الفتنة. وكان مبتدأ رئاسة سوار هذا أنه كان صاحباً ليحيى بن صقالة - أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة - عن أستبصار شديد وحمية، فصب على المولدين والعجم منهِ ومن أصحابه أعظم آفة، إلى أن أصابوا منه غرة فثاروا بغتة وقتلوه. فرأس أصحابه بعده سواراً هذا، فاشتد به أمرهم وقام طالباً بثأر صاحبه. وكان شجاعا محرباً، فكثر أتباعه واشتدت شوكته وأعتز العرب بمكانه، فلفف جموعها وحمى ذمارها وسعى لإدراك ثارها. وقصد حصناً اجتمع فيه من المولدين والنصاري نحو من ستة ألاف رجل، فنازلهم بالعرب حتى قهرهم، وأخرج نابلاً رئيسهم المقيم فيه عنه وملكه. وكان نابل قد أنتزعه من يحيى بن صقالة، فأسترده سوار إلى ملكه.

ثم افتتح حصون المسالمة والنصارى حصناً حصناً، وقتل من ظفر به وغنم أموالهم. ولقيه جعد بن عَبْد الغافر - عامل الأمير عَبْد الله - فهزمه سوار وقتل من أصحابه نحواً من سبعة ألاف، وأسر جعداً فمن عليه وأطلقه وأبلغه وأمنه.

وغلظ أمره فاستبق حينئذ إلى حصن غرناطة بالقرب من مدينة إلبيرة، وصعد إليه فتبوأه داراً اجتمعت إليه فيه عرب كورة البيرة وكاتبته عرب النواحي إلى حدود قلعة رباح وغيرها، وكانت دار الداخلين إلى الأَنْدَلُس من بكر ابن وائل، فصاروا إلباً معه على المولدين. وبجح

= والتفت حوله بيوتات العرب، لقتال من كان هناك من العجم والمولدين. فاستفحل أمره، واستولى على عدة حصون. ولم تطل مدته. مات قتيلا. له شعر جيد.

وجمهرة الانساب (٢٤٨) وضبط اسمه فيها بكسر السين وتخفيف الواو، خطأ، قال سعيد بن جودي، وكان من أصحابه:

(لقد سل سوار عليكم مهندا .... يحز به الهامات حز المفاصل).

سوار بيا تهيأ له على أعدائه، وعلت همته، وأملته العرُب، وعلا في الناس ذكره، وقال الأشعار الجزلة، وأكثر الفخار بنفسه وقومه.

ذكر ذلك ابن حيان، وحكى أنه أوقع بأصحاب ابن حفصون ثانية، ويقال إن قتلاهم كانوا فيها اثنى عشر ألفاً، وتعرف بـ (وقيعة المدينة).

قال: وقد ذكرها سعيد بن جودي السعدي صاحب سوار والوالي رئاسة العرب بعده في شعر له، منه:

ولما رأونا راجعين إليهم ... تولوا سراعاً خوف وقع المناصل
فسرنا إليهم والرماح تنوشهم ... كوقع الصياصي تحت رهج القساطل
فلم يبق منهم غير عان مصفد ... يقاد أسيراً موثقاً في السلاسل
وآخر منهم هارب قد تضايقت ... به الأرض يهفو من جوى وبلابل

ومنه:

لقد سل سوار عليكم مهنداً ... يجذ به الهامات جذ المفاصل
به قتل الله الذين تحزبوا ... علينا وكانوا أهل إفك وباطل
سما لبني الحمراء إذ حان حينهم ... بجمع كمثل الطود أرعن رافل
أدرتم رحى حرب فدارت عليكم ... لحتف قد أفناكم به الله عاجل
لقيتم لنا ملمومة مستجيرة ... تجيد ضراب الهام تحت العوامل
بها من بني عدنان فتيان غارة ... ومن آل قحطان كمثل الأجادل
يقودهم ليث هزبر ضبارم ... محش حروب ماجد غير خامل
أرومته من خير قيس سما به ... إلى المجد قدماً والعلا كل فاضل
له سورة قيسية عربية ... بها ذاد عن دين الهدى كل جاهل

وهي طويلة. وقال في ذلك:

فما كان إلا ساعة ثم غودروا ... كمثل حصيد فوق ظهر صعيد

وقال أيضاً قصيدة أخرى ذكر فيها أسر جعد بن عَبْد الغافر يخاطب المولدين:

لم تزالوا تبغونها عوجاً حتى وردتم للموت شر ورود
فاصطلوا حرها وحجر سيوف تتلظى عليكم كالوقود
قد قتلناكم بيحيى وما إن كان حكم الإله بالمردود
هجتم يا بني العبيد ليوثاً لم يكونوا عن ثارهم بقعود
جاءكم ماجذ يقود إليكم فتية ذادة كمثل الأسود
يطلب الثار، ثار قوم كرام آزروا بالعهود بعد العهود
فاستباح الحمراء لم يبق منهم غير عان في قده مصفود
قد قتلنا منكم ألوفاً وما يعـ ـدل قتل الكريم قتل العبيد
فلئن كان قتله غدرة ما كان بالنكس، لا ولا الرعديد

يريد يحيى بن صقالة أمير العرب القائم على المولدين. وقال يحيى بن أخي يحيى بن صقالة، من قصيدة طويلة يمدح فيها سواراً ويذكر وقيعة إلبيرة ويناقض العبلي شاعر المولدين، وقيل إنها لسعيد بن جودي:

لسوار على الأعداء سيف أباد ذوى الغواية فأضمحلوا
سقاهم كأس حتف بعد حتف بها نهل العبيد معاً وعلوا
قتلت بواحد سوار ألفاً وألفهم بواحدنا يقل
وأكثر قتلنا لهم حلال بما أرتكبوه ظلماً وأستحلوا
فأوردنا رقابهم سيوفاً تعشب النار منها إذ تسل
ورثنا العز عن آباء صدق وإرثكم بني العبدان ذل

وأول شعر العبلي:

قد أنقصفت قناتهم وذلوا وضعضع ركن عزهم الأذل
فما طلت دماؤهم لديهم وها هم عندنا في البير طل

ومن شعر سوار قوله من قصيدة طويلة:

صرم الغـواني يـا هنيـد مـودتي إذ شـاب مفـرق لمتـي وقـذالي

وصـددن عنـي يـا هنيـد وطالمـا علقـت حبـال وصـالهن حبـالي

وقتل في صدر سنة سبع وسبعين ومائتين، فكان أمده في رئاسته نحو العام.

٥٧ - سعيد بن جودي السعدي، أبو عثمان[1].

هو سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي؛ هو من هوازن من جند قنسرين.

ولي جده جودي بن أسباط الشرطة للأمير الحكم الربضي، وولي أيضاً قضاء بلده إلبيرة - وقع ذكر ذلك في المقنع من تأليف ابن بطال في الأحكام. ولما قتل سوار بن حمدون ذلت العرب بمقتله، وكل حدها بما نزل فيه، وكان قد أصيب على يدي بعض أصحاب ابن حفصون. فيقال إن جثته مزقها ثكالى نساء المولدين قطعاً، وأكله كثير منهن حنقاً عليه، لما نالهن به المرة بعد المرة من الثكل في بعولتهن وأهليهن. فنصبت العرب لإمارتها بعده سعيد بن سليمان بن جودي صاحبه، وعلقت آمالها به، فلم يسد مكانه، ولا بلغ مداه في السياسة. على أنه كان شجاعاً بطلا وفارساً محرباً، قد تصرف مع فروسيته في فنون العلم، وتحقق بضروب الأدب، فاغتدى أديباً نحريراً، وشاعراً محسناً، تعد له عشر خصال تفرد بها في زمانه لا يدفع عنها: الجود، والشجاعة، والفروسية، والجمال، والشعر، والخطابة، والشدة، والطعن، والضرب، والرماية. وهابه ابن حفصون هيبة لم يهبها أحداً ممن مارسه، إذ لم يلقه قط إلا علاه وهزمه.

ولقد دعاه في بعض أيامهم إلى المبارزة، فلم يجبه ابن حفصون إليها وحاد عنه. وواجهه يوماً فألقى عليه ذراعه وأجتذبه إلى الأرض، فما نجاه منه إلا أصحابه الذين انقضوا على سعيد فتنقذوا عمر من يده.

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١/ ٨٢.

وله زرقة بعيدة المدى إلى بعض القناطر المعتلية مشهورة النسبة إليه، لم يقدر أحد بعده ممن يتعاطى الشدة يبلغ إلهيا ذكر ذلك أبو مَرْوَان بن حيان في تاريخه.

وقال في موضع آخر: كان، مع رئاسته وشجاعته، شاعراً مغلقاً وخطيباً مصقعاً، فصيح اللسان، ربيط الجنان، جميل الشارة، حسن بسهمة الإشارة، ثبت الأصالة، واسع الأدب والمعرفة، يضرب في صنعة الشعر بهمة وافرة، ويتصرف من سبله بكل منيعة. حكى أن الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد أسجل له على كورة البيرة، لما ظهرت العرب على حاضرتها. فاتصل قيانه بأمر العرب، إلى أن قتل غيلة بأيدي بعض أصحابه في ذي القعدة من سنة أربع وثمانين مائتين.

قال: وزعموا أن من أقوى الأسباب في قتله أبياتاً من الشعر قالها في غمص الأئمة من بني مَرْوَان. منها، قال لعبد الله:

يا بني مَرْوَان جدوا في الهرب ... نجم الثائر من وادي القصب

يا بني مَرْوَان خلوا ملكنا ... إنما الملك لأبناء العرب

ورثاه الأسدي شاعر العرب في ذلك الأوان، وقال فيه مقدم بن معاق يرثيه:

من ذا الذي يطعم أو يكسو ... وقد حوى حلف الندى رمس؟

لا اخضرت الأرض ولا أروق الـ ... ـسعود ولا أشرقت الشمس

بعد ابن جودى الذي لن ترى ... أكرم منه الجن والإنس

دموع عيني في سبيل الأسى ... على سعيد أبداً حبس.

وقام بأمر العرب بعده مُحَمَّد بن أضحى بن عَبْد اللطيف الهمداني صاحب حصن الحمة، إلى أن استنزله الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد.

ولسعيد بن جودى شعر كثير، وقد ذكرنا منه جملة. وسمع يوماً منشداً ينشد قول أبي قيس بن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما ... أطعم نوماً غير تهجاع

أسعى على جل بني مالك ... كل امرئ في شأنه ساع

فقال معارضاً على البديهة:

الـدرع قـد صـارت شـعاري فـما ... أبـسط حاشـاها لتهجـاع

والـسيف إن قـصره صـانع ... طولـه يـوم الـوغى بـاعي

ومـا كميتـي لي بمستقـصر ... إذا دعـاني للقـا داع

هـذا الـذي أسـعى لـه جاهـداً ... كـل امـرئ في شـأنه سـاع

وله في جارية سمعها بقرطبة تغني للأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد - وذلك في إمارة أبيه الأمير مُحَمَّد - فهام بها واشترى جارية سماها باسمها جيجان، فلم يسله ذلك عنها وهام بها دهراً:

سمعي أبي أن يكون الروح في بدني ... فاعتـاض قلبـي منـه لوعـة الحـزن

أعطيت جيجان روحي عن تذكرها ... هـذا ولم أرهـا يومـاً ولم تـرني

كـأنني واسـمها والـدمع منكـسب ... مـن مقلتـي راهـب صـلى إلى وثـن

وله في جارية حملت إليه من قرطبة، فلما خلا بها أعرضت عنه ورمت بطرفها إلى الأرض خجلا فقال:

أمائلـة الألحـاظ عنـي إلى الأرض ... أهذا الذي تبدين ويحـك؛ مـن بغـضي؟

فـإن كـان بغـضاً لـست والله أهلـه ... ووجهي بذاك اللحظ أولى مـن الأرض

وله أيضاً يهزل ويتغزل:

لا شيء أملح مـن سـاق عـل عنـق ... ومـن مناقلـة كأسـاً عـلى طبـق

ومـن مواصـلة مـن بعـد معتبـة ... ومـن مراسـلة الأحبـاب بالحـدق

جريت جرى جموح في الصبا طلقـاً ... وما خرجـت لصرف الدهر عن طلقي

ولا انثنيت لداعي الموت يوم وغـى ... كـما انثنيـت وحبـل الحـب في عنقـي

ومقاصده في غزله المشوب بشجاعته تشبه مقاصد أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، وكانت له أيضاً رئاسة وثورة.

ولسعيد أيضاً في جارية جميلة عرضت له صباحاً في غلالة حمراء وهو خارج إلى مجلسه، لتأخذ عليه الطريق وهي تتثنى في حركتها فقال: قضيب من الريحان في ورق حمر.

ثم أعيته الإجازة طول نهاره وقد شغل بها فكره، حتى دخل عليه حاجبه فاستأذن لعبيد بن الشاعر الكاتب - وكان ينتابه هو وغيره - فساعة دخل عليه ناداه سعيد: قضيب من الريحان في ورق حمر فأجاب من قبل أن يجلس:

وعهدي بالريحان في ورق خضر

فسر واجزل صلته.

وله يرثي:

أمستنصراً بالصبر قد دفن الصبر ... مع الحسن المأمول إذ ضمه القبر

فيا عجباً للقبر منه يضمه ... وقد كان سهل الأرض يخشاه والوعر

وما مات ذاك الماجد القرم وحده ... بل الجود والإقدام والباس والصبر

وإن يكن البطان زين حيرة ... لقاتله في الكفر، بل دونه الكفر

فشمس الضحى ترجو لفقدان نوره ... وبدر الجدى يبكيه والأنجم الزهر

وله حين أسره عمر بن حفصون، رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها وركن العصبية للعجم والمولدن، وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته للعرب:

خليلي صبراً، راحة الحر في الصبر ... ولا شيء مثل الصبر في الكرب المحر

فكم من أسير كان في القد موثقاً ... فأطلقه الرَّحْمَن من حلق الأسر

لئن كنت مأخوذاً أسيراً وكنتما ... فليس على حرب ولكن على غدر

ولو كنت أخشى بعض ما قد أصابني ... حمتني أطراف الرديني السمر

فقد علم الفتيان أني كميها ... وفارسها المقدام في ساعة الذعر

ومن هذه القصيدة:

بهمك ألقى خالقي يوم موقفي ... وكربك أقضى لي من القتل والأسر

وإن لم يكن قبر فأحسن موطناً ... من القبر للفتيان حوصلة النسر

٥٨- سليمان بن وانسوس الوزير، أبو أيوب[1].

هو سليمان بن مُحَمَّد بن أصبغ بن عَبْد الله والسوس المكناسي مولى سليمان بن عَبْد الملك. أصله من البرابر، وله فيهم بيت شرف بالأندلس.

وكان جده أصبغ رئيساً بباردة مطاعاً، ثار فهيا على الأمير الحكم بن هِشَام فملكها لنفسه واتصل خلافه فيها سنين، وجرت له خطوب كبار في حالي المعصية والطاعة.

وتمهد ابن ابنه هذا مهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه، وعلق حبال الخدمة، فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة، إلى أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عَبْد الله، وصارت له حظوة. وكان أديباً مفتناً، وشاعراً مطبوعاً، حسن البيان، بليغاً، حصيفاً، داهياً؛ وكان في لحيته كوسجاً. ومن شعره يغرى الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد بجهور بن عَبْد الملك البختي، وكان قد صرف عن عمله بكورة البيرة لتظلم الرعية:

جاء الحمار حمار المرج محتشياً ... مما أفاد من الأموال والطرف

خلى لبيرة قد أودت مساكنها ... بقبح سيرته والعنف والسرف

فاحمل على العير حملاً يستقل به ... واترك له سبباً للتبن والعلف

فلما قرأ الأمير عَبْد الله أبياته أمر بإدخاله إليه فضحك منه وقال له: يا سليمان؛ لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في الغرم، وأمر بإغرامه ثلاثة آلاف دينار. وقد تقدم لسليمان هذا خبر مع الأمير عَبْد الله يدل على شرف ذاته وعلو همته.

٥٩- عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي، أبو مَرْوَان.

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١/ ٨٠، وقال الحميدي: سليمان بن وانسوس البربرى الوزير مذكور بالأدب والعلم والعقل وعزة النفس كان في أيام الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد صاحب الأندلس في بنى أمية أثيراً عنده، وله معه أخبر نيه أبو مُحَمَّد على بن أحمد، قال: حدثني مُحَمَّد بن عَبْد الأعلى بن هاشم القاضي، وعلى بن عَبْد الله الأديب، كلاهما قال لي: كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلاً جليلاً. أديباً من رؤساء البربر.

ولى أبوه عامر طليطلة، ثم صرفه عنها عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بأخيه عَبْد الله بن كليب. وكان أحد وجوه أصحاب السلطان، واختص بصحبة هاشم بن عَبْد العزيز. وكانت فيه - مع أدبه وبلاغته - حدة ومعاضة للناس، وتحك بالشعراء، فلم يسلم منهم؛ وهو القائل عن الاعتذار:

عظم الخطاء فهل تقيل ... يا سيدي، أو ما تقول؟
أنت العزيز بهفوتي ... وأنا بها العبد الذليل
والله لو أني استطعـ ... ـت لما بدت متى فضول
ولما رأى مني الصديـ ... ـق سوى قوام لا يميل
ولسان صدق لا يزو ... ل من الصواب ولا يحول
فأبت على الكاس إلا ... أن يداخلني الذهول

٦٠ - عَبْد الرَّحْمَن بن وليد بن عَبْد الرَّحْمَن بن عَبْد الحميد ابن غانم.

كان هو وأخوه مُحَمَّد وأبوهما وليد في بيت أدب رائع وكتابة وجلالة، وولى وليد للأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن خطتي الوزارة والمدينة، وقاد جيش الصائفة الذي قدم عليه ابنه عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد، وكان عدده عظيماً، وولى أيضاً مُحَمَّد بن وليد خطة المدينة، وسيأتي ذكرهما. وعبد الرَّحْمَن هو القائل وسمع عبيد الله بن يحيى بن يحيى صاحب مالك وقد سئل عن النعامة ففسرها بطير الماء:

ذهب الزمان بصفوة العلماء ... وبقيت في ظلم وفي عمياء
وأتى طغام رقع من بعدهم ... لا فرق بينهم وبين الشاء
فإذا سألت عن النعام أسدهم ... علماً، يفسره بطير الماء

وهؤلاء شعراء بنى الأغلب ملوك إفريقية في هذه المائة، وفي آخرها انقرض ملكهم حسبما يذكر بعد.

٦١- زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، أبو مُحَمَّد[1].

ولي بعد أخيه أبي العباس عَبْد الله الجميل سنة إحدى ومائتين. وكان أبوه - إبراهيم بن الأغلب - إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية والشعراء، أصحبهم ابنه زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته، فكان أفضل أهل بيته وأفصحهم لساناً، وأكثرهم بياناً. وكان يعرب كلامه ولا يلحن، دون تشادق ولا تقعر، ويصوغ الشعر الجيد. ولا يعلم أحد قبله سمي زيادة الله ولا هبة الله قبل ولد إبراهيم بن المهدي.

وولد زيادة الله قبل هبة الله هذا بنحو من ثلاثين سنة.

وهو الذي بنى جامع القيروان بالصخر والآجر والرخام بعد أن هدمه، وبنى المحراب كله بالرخام من أسفله إلى أعلاه، وهو منقوش بكتاب وغير كتاب، ويستدير به سوار حسان، بعضها مجزعة بأسود ناصعة البياض شديدة السواد، ويقابل المحراب عمودان أحمران، فيهما توشيه بحمرة صافية دون حمرة سائرهما، يقول كل من رآهما من أهل المشرق والمغرب أنه ير لم مثلهما. وقد بذل فيهما صاحب لقسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يجبه الناظر للإسلام في ذلك.

وأول من بنى هذا الجامع الأشرف عقبة بن نافع الْفِهْرِيّ، وهو الذي اختط مدينة القيروان في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة.

فلما ولي حسان بن النعمان الغساني إفريقية هدمه - حاشى المحراب - وبناه بالطوب. فلما ولي يزيد بن حاتم إفريقية، سنة خمس وخمسين ومائة، هدمه وبناه. فلما ولي زيادة الله هذا، هدمه وبناه مع المحراي كما وصف وتم بنيانه سنة اثنتين وعشرين ومائتين.

وبعد ذلك بعام أو نحوه توفي في رجب سنة ثلاث وعشرين.

ولأبي إبراهيم أحمد بن مُحَمَّد - والد إبراهيم بن أحمد السفاك - زيادة في هذا الجامع كملت سنة ثمان وأربعين ومائتين، وهي عليها إلى اليوم.

---

(١) الأعلام ٣/ ٥٦.

ومن شعر زيادة الله - على أنه كان يصنعه ويكتمه - ما يروى أن المأمون كتب إليه أن يدعو على منابره لعبد الله بن طاهر بن الحسين، فأنف من ذلك وأمر بإدخال الرسول عليه - بعد أن تملأ من الشراب، وحل شعره، ونار عظيمة بين يديه في كوانين، وقد احمرت عيناه، فهال الرسول ذلك المنظر، ثم قال: قد علم أمير المؤمنين طاعتي له وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خزاعة؟ هذا والله أمر لا يكون أبداً. ثم مد يده إلى كيس غلى جانبه فيه ألف دينار فدفعه إلى الرسول ليوصله إلى المأمون، وكانت الدنانير مضروبة باسم إدريس الحسنى، ليعلمه ما هو عليه من فتنة المغرب ومناضلة العلويين، وكتب جواب الكتاب وهو سكران في آخره أبيات منها:

أنا النار في أحجارها مستكنة ... فإن كنت ممن يقدح الزند فاقدح

أنا الليث يحمي غيله بزئيره ... فإن كنت كلباً حان موتك فانبح

أنا البحر في أمواجه وعبابه ... فإن كنت ممن يسبح البحر فاسبح

فلما صحا بعث في طلب الرسول ففاته، وكتب كتاباً آخر يتلطف فيه، فوصل الكتاب الأول والثاني، فأعرضوا عن ذكر الأول وجاوبوه عن الثاني بما أحب. وصدر البيت الأول من هذه الأبيات وقع ما تمثل به المأمون، إذا قتل ليلاً بالمطبق إبراهيم بن مُحَمَّد بن عَبْد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن مُحَمَّد ابن علي بن عَبْد الله بن العباس المعروف ابن عائشة وأصحابه، فقال حين فرغ من ذلك:

أنا النار في أحجارها مستكنة ... متى ما يهجها قادح تتضرم

حكاه المسعودي وكان زيادة الله يدعو للمأمون، ابن شكلة - وهو إبراهيم بن المهدي - ببغداد قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين، إلى أن قدم المأمون بغداد فكاتبه وشكر له فعله.

وله يخاطب أمه جلاجل - جارية الليث بن سعد - وقد استفحل أمر الجند في خلافهم عليه، واستولوا على إفريقية كلها، إثر وقعة عل أصحابه شديدة خاف منها على ملكه، وأيقن بانقطاع مدته، وبلغ ذلك منه كل مبلغ، فدخلت عليه أمه تصبره وتسهل الأمر عليه سحر ساعة ثم رفع رأسه وأنشد أبياتاً منها:

أمنت سبية كل قرم باسل ... ومن العبيد جاجماً أبطالاً
فإذا ذكرت منصاباً بسبية ... فابكي جلاجل وانديي إعوالا
يا ريح نفسي حين أركب غادياً ... بالقيروان تخالني مختالاً
في قتية مثل النجوم طوالع ... ويخالني بني النجوم هلالا
فاليوم أركب في الوغاع ولا أرى ... إلا العبيد ومعشراً أنذالا

وله في النسيب:

بالله لا تقطعن بالهجر أنفاسي ... فأنت مهلك إنطاقي وإخراسي
مصدود طرفك عن طرفي إذا التقيا ... مجرعي كأس إرغام وإتعاس
لو لم أبحك حبي قلبي تردده ... لم تستبح مهجتي يا أملح الناس

وله أيضاً في تفاحة:

ولابسه ثوب اصفرار بلا جسم ... تنم بأنفاسها الحبيب لمشتم
تجمع معشوق لديها وعاشق ... فذو نظر يرنو إليها وذو شم
شأفنيك أو أفنى عليك تذكراً ... لمن أنت عطر منه في الرشف واللثم
فقد هجت في قلبي لظى لتذكري ... وعنوانه في مقلتي دمعة تهمي
كأني أدنى حين أدنيك من به ... أثرت اشتياقي في عناق وفي ضم

٦٢- الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، أبو عقال، ويلقب بـ(خزر)[1].

ولي إفريقية بعد إبراهيم بن الأغلب ثلاثة من أبنائه لصلبه، أولهم أبو العباس عَبْد الله: ولي بعهد أبيه، وكان عند وفاته بطرابلس، فقام أخوه زيادة الله بالأمر في مغيبه، وأخذ له البيعة

(١) الأعلام ١/ ٣٣٥، وقال الزركلي: الاغلب بن إبراهيم بن الاغلب بن سالم، أبو عقال: خامس الاغالبة بافريقية. ولي الامر بعد وفاة أخيه زيادة الله (سنة ٢٢٣ ه) وحسنت سيرته. وخرج عليه بقسطيلة خوارج فأرسل إليهم من خضد شوكتهم. وفتحت في أيامه عدة حصون من صقلية صلحا وتسليما، فضمها إلى بلاده وتوفي بالقيروان.

على نفسه وعلى أهل بيته وسائر الناس، فكان يتحامل عليه في ولايته ويتنقصه، وهو يظهر التجمل والاحتمال؛ وعوجل فلم تطل مدته، ولم يوصف بأدب فنذكره. وثانيهم أبو مُحَمَّد زيادة الله المتقدم الذكر: وهو كان أطولهم ولاية، وأمتنهم بعد أبيهم أدباً. وثالثهم أبو عقال الأغلب هذا: ولي بعد أخيه زيادة الله، وهو كان أقصرهم ولاية؛ أقام سنتين وتسعة أشهر وأياماً، غير أن الملوك منهم من عقبه دون أخويه وكل من ولي بعده من آل الأغلب - إلى أن انقرض ملكهم وزال سلطانهم - من ولده. وآثاره صالحة: أمن الجند وأحسن إليهم، فلم يكن في أيامه - على قصرها وتقلصها - حروب. وغير مما أحدث العمال كثيراً، وقبض أيديهم عن أموال الرعية، وقطع النبيذ من القيروان؛ فحمدت سيرته، وظهرت فضيلته، وانتشر عدله. وكان له حظ من الأدب يصوغ به مقطعات من الشعر، فمنها قوله:

لـه مقلـة تكفيـه حمـل سـلاحه ... محاربـة ألحاظهـا مـن تسالمه

سـقى صبه مـن خمرهـا فبـدا بهـا ... كما تفعل الصهباء ما هو كائمه

وقـد سـكرت أجفانـه فكأنما ... تسقيه مـن صـهبائها وتنادمه

٦٣ - ابنه مُحَمَّد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، أبو العباس[1].

ولي بعد أبيه أبي عقال في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين، وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من المرحم سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثانية أشهر واثني عشر يوماً.

وكان كوسجاً: كان وجهه وجه خصي ليس فيه إلا شعرات يسيرة، عقيماً لا يولد له، موصوفاً بحلم وجود. وحاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه إلى الشرق، وكانت في أيامه

---

(١) الأعلام ٦/ ٤٠، وقال الزركلي: مُحَمَّد بن الاغلب بن إبراهيم بن الاغلب. أبو العباس: سادس ملوك الدولة الاغلبية بافريقية. ولي بعد وفاة أبيه (سنة ٢٢٦ هـ) ودانت له البلاد وحسنت سياسته فاستمر إلى أن توفي بالقيروان.

من آثاره بناء قصر (سوسة) وجامعها سنة ٢٣٦ قال ابن الخطيب: (كان مظفرا في حروبه، على ما فيه من جهل وأفن واستغراق في اللهو)

حروب كثيرة نصر فيها. وأما أخوه الثاني - ويسمى أيضاً مُحَمَّداً، ويكنى أبا عَبْد الله - فكان والياً على طرابلس من قبله، ومات بها أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين؛ ومن ولده أمراء بني الأغلب الولاة بعد أبي العباس هذا.

وأبو العباس هو القائل يفخر - في ما نسبه إليه خاصته، وقيل: إنه لعبد الرَّحْمَن بن أبي مسلمة - قاله على لسانه عند ظفره بخارج عليه:

ألـيس أبـي وجـدي أوطـآني ... وجـد أبـي وعـمـاي الرقابـاً؟
ورثـت الملـك والـسلطان عـنهم ... فـصرت أعـز مـن وطـئ الترابـا
وقـدمني الخلائـف واصـطفوني ... فمـن مـثلي قـديماً وابتـسابا
أنـا الملـك الـذي أسـمو بنفـسي ... فـأبلغ بالـسمو بهـا الـسحابا
إذا نقبـت عـن كرمـي ومجـدي ... وجـدتني المـصاصة واللبابـا
أنـا الملـك الـذي أيـدت ملكـي ... بـسيفي إذ كـشفت بـه الـضبابا
فأمـضى إن سردت الجفـن عنـه ... فأغتـصب النفـوس بـه اغتـصابا
لقـد فـتح المهـيمن لي بـسيفي ... وإقـدامي، إذا مـا الجمـع هابـا
أتمـت بـه ابـن حمـزة حـين دبـت ... عقـارب غـدره وسـعى فخابـا
أسـلت بـه دم الأوداج منـه ... فـصار لـشيب لحيتـه خـضابا
أظـل عـشيرتي بجنـاح عـزى ... وأمنحهـا الكرامـة والثوابـا
وأصـطنع الرجـال وأصـطفيهم ... وأغفـر للمـسيء إذا أنابـا
وأسـمو بـالخميس إلى الأعـادي ... فأكـسر بالعقـاب لهـا العقابـا
أنـا ابـن الحـرب ربتنـي وليـداً ... إلى أن صرت ممتلئـاً شـبابـاً
لعمـر أبيـك مـا أن عبـت قـومي ... ومـا أخـشى بقـومي أن أعابـا
بنيـت لهـم مكـارم باقيـات ... إذا مـا صـارت الـدنيا خرابـا

obeikandl.com

٦٤- إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عَبْد الله مُحَمَّد بن أبي عقال الأغلب.

وهو خزر المذكور قبل ابن إبراهيم بن الأغلب، أبو إسحاق.

ولي بعد أخيه أبي عَبْد الله مُحَمَّد بن أحمد، الذي يعرف بأبي الغرانيق، لكثرة ولوعه بتصيدها. وكان مُحَمَّد هذا قد عقد لابنه أبي عقال الأغلب ولاية عهده، واستحلف إبراهيم هذا خمسين يميناً بجامع مدينة القيروان ألا ينازعه، وذلك بمحضر مشيخه الأغلب وقضاه القيروان وفقهائها، فلما هلك أبو الغرانيق لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين، خلع ابنه أهل القيروان وقدموا إبراهيم بن أحمد في قصة طويلة، فابتلاهم الله بظمة، وامتحنهم بإسرافه، حتى سموه الفاسق. وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً من سبع سنين، ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله، وأخذ في قتل أصحابه وكتابه وحجابه، حتى إنه قتل ابنه أبا عقال وبناته؛ والأخبار عنه في ذلك فظيعة شنيعة. وكان كثير المال شديد الحسد، على اتصافه الحزم والعزم والضبط للأمور. ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب، وكان ربما صنع من الشعر شيئاً ضعيفاً، فمن ذلك قوله:

نحن النجوم بنو النجوم، وجدنا ... قمر السماء أبو النجوم تميم

والشمس جدتنا، فمن ذا مثلنا ... متواصلان: كريمة وكريم؟

وحذف هذا النظم الغث أولى من إثباته، وليته بعقاب أهل بيته عوقب على أبياته. ولم يل إفريقية قبله أطول عمراً منه في سلطانها. ملك تسعاً وعشرين سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ليطول به الابتلاء؛ والله يفعل ما يشاء.

وحكى أبو عبيد البكري في كتاب المالك والمسالك من تأليفه أن إبراهيم بن أحمد هو الذي بنى مدينة رقادة واتخذها وطناً، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً. ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب، إلى أن هرب عنها زيادة الله أمام أبي عَبْد الله الشيعي. وسكنها عبيد الله المهدي، إلى أن انتقل إلى المهدية فدخلها الوهن وانتقل عنها

ساكنوها. ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء، إلى أن ولى معد بن إسماعيل، فخرب ما بقي منها وعفى آثارها ولم يبق منها غير بساتينها.

قال: وليس بإفريقية أعدل هواء، ولا أرق نسيماً، ولا أطيب تربة من مدينة رقادة. وذكروا أن أحد بني الأغلب ارق وشرد عنه النوم أياماً، فعالجه إسحاق - يعني طبيبهم، وهو الذي ينسب إليه إطريفل إسحاق - فلم ينم، فأمره بالخورج والمشي، وفلما وصل إلى موضع رقاده نام، فسميت رقاده من يومئذ، واتخذت داراً ومسكناً وموضع فرجة للملك.

قال: ولما بناها إبراهيم ابن أحمد منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رقادة، فقال بعض ظرفاء أهل القيروان:

يا سيد الناس وابن سيدهم ... ومن إليه الرقاب منقاده

ما حرم الشرب في مدينتنا ... وهو حلال بأرض رقاده؟

ومع بعد إبراهيم في الملكة عن الإسجاح، فقد كان لا يخل بنصيبه من السماح. حكى أبو إسحاق الرقيق أن بكر بن حماد التاهرتي كان ينتجع هذا الطاغية ويمدحه، فغدا يوماً يمديح له على بلاغ الخادم فقال له: الأمير عنا مشغول في هذا اليوم، قال: فالطف بي في إيصال رقعة إليه، قال: إنه مصطبح في الجنان مع الجواري، ولا يصل غليه أحد؛ فكتب بكر في رقعة، واحتال بلاغ في توصيلها مساعدة له، وفيها أبيات منها:

خلقن الغواني للرجال يلية ... فهن موالينا ونحن عبيدها

إذا ما أردن الورد في غير حينه ... أتتنا به في كل حين خدودها

وكتب تحت الأبيات:

فإن تكن الوسائل أعوزتني ... فإن وسائلي ورد الخدود

فلما رأها أنشدها الجواري، فأظهرن له سروراً بها وشفعن إليه أن خرج بصرة مختومة فيها مائة دينار؛ ووصل منه إلى بكر مال عظيم.

٦٥ - ابنه عَبْد الله بن إبراهيم بن أحمد، أبو العباس.

ولي بعد أبيه إبراهيم، وكان شجاعاً بطلاً، ذا بصر بالحروب والتدبير، عاقلاً أديباً عالماً، له نظر في الجدل وعناية باللغة والآداب. وكان في أيام أبيه على خوف شديد منه، لسوء أخلاقه وقبح أفعاله، وجرأته على قتل من قرب منه أو بعد، وكان يظهر من طاعته والتذلل له أمر عظيماً. وكان أبوه يوجهه إلى محاربة كثير ممن يخالف عليه، ويفضله على سائر ولده، ثم ولاه عهده وصير إليه خاتمه ووزارته، وكتب بذلك كتاباً تاريخه يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين.

وفي ذي القعدة منها هلك أبوه إبراهيم بن أحمد، ومن ذلك الوقت رمى بالنجوم، فكانت تتناثر كالمطر يميناً وشمالاً، وكانت تؤرخ بسنة النجوم.

وملك عَبْد الله سنة واحدة واثنين وخمسين يوماً، وكانت أيامه - على قصر مدته - أيام عدل وصلاح وحسن سيرة، إلى أن قتل ليلة الأربعاء آخر شعبان سنة تسعين ومائتين: تولى قتله ثلاثة من خدمه الصقالبة وهو نائم، وأتوا برأسه ابنه زيادة الله بن عَبْد الله آخر ملوك الأغالبة وهو محبوس من قبل أبيه - وكان قد صانعهم على ذلك - فقتلهم وصلبهم. ومن شعر عَبْد الله في دواء شربه بصقلية:

شربت الدواء على غربة ... بعيداً من الأهل والمنزل

وكنت إذا ما شربت الدواء ... تطيبت بالمسك والمندل

فقد صار شربي بحار الدماء ... ونقع العجاجة والقسطل

٦٦ - ابنه زيادة الله بن عَبْد الله بن إبراهيم بن أحمد، أبو مضر[1].

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ١٢٧، وقال ابن عساكر: هو أبو مضر زيادة الله بن عَبْد الله بن إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد بن الأغلب ابن إبراهيم بن سالم بن عقال بن خفاجة، وهو زيادة الله الأصغر، آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية، التميمي، وقال: قدم دمشق سنة اثنتين وثلثمائة مجتازاً إلى بغداد حين غلب على ملكه بإفريقية، ثم قال في آخر الترجمة: بلغني أن زيادة الله توفي بالرملة في سنة أربع وثلثمائة في جمادى الأولى منها، ودفن بالرملة،

خاتمة ملوك الأغالبة، عليه انقرض ملكهم وزال سلطانهم بعبيد الله المهدي أول ملوك الشيعة.

ولما هزم أبو عَبْد الله الشيعي - داعية عبيد الله - عسكر زيادة الله هذا يوم السبت لست بقين من جماد الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين، ودخلت مدينة الأربس بالسيف، وبلغ الخبر زيادة الله عند صلاة العصر يوم الأحد بعده، فر على وجهه وأسلم البلاد، ولحق بإطرابلس ميمماً ديار مصر، وذلك في خلافة المقتدر بن جَعْفَر بن المعتضد، فكانت ولايته ست سنين إلا شهرين وأياماً، أتلف جلها في اللذات والبطالة، حتى انتقضت دولته وظفر به عدوه.

وكان فراره من مدينه رقاده التي بناها جده إبراهيم بن أحمد، وأجرى إليها المياه، واغترس فيها صنوف الثمار الطيبة والرياحين، وبنى على القصور التي أحدث فيها سوراً، وأحد هذه القصور يسمى بغداد، وآخر منها يسمى المختار فصارت أبكر من القيروان، وبينهما ستة أميال.

فلما ولى زيادة الله هذا، انتقل إليها وحفر بها حفيراً بناه صهريجاً، طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع، وأجرى إليها ساقية وسماه البحر، وبنى فيه قصراً وسماه العروس على أربع طبقات أنفق فيه - سوى خمس اليهود والعجم - مائتي ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار.

وكان عبيد الله يقول: رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلها بالمشرق، منها هذا القصر. فبهذا وأمثاله كان اشتغاله، حتى حالت لأول وهلة حاله، ليصدق ما قاله أبو الفتح البستي:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلاً ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب

=

فساخ قبره فسقف عليه وترك مكانه، وهو من ولد الأغلب بن عمرو المازني البصري، وكان الرشيد ولى عمراً المغرب بعد أن مات إدريس بن عَبْد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلف ولده الأغلب ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا.

وحكى أبو إسحاق الرقيق أنه سأل مؤنساً المغنى هل يعلم صوتاً من أصواته لم يسمعه منه، فقال: والله يا مولاي ما عملت غير بيت، وقد أنسيت أوله، قال: هاته فغناه:

فقد صرت بعد البين أقنع بالهجر

ثم وجه في صاحب البريد عَبْد الله بنُ الصائغ - وكان شاعراً مجيداً - فعرفه ما جرى وقال له: بحياتي إلا زدت عليه شيئاً، فقال ابن الصائغ:

ولي كبد لولا الأسى لتصدعت ... وقلب أبى أن يستريح إلى الصبر

وقد كنت أخشى هجرهم قبل بينهم ... فقد صرت بعد البين أقنع بالهجر

فأعجبه ذلك ووقع منه أحسن موقع، وغنى به مؤنس فطرب وأمر له بخلع نفيسة وكيس فيه ألف دينار وفرس بسرج ولجام محليين. وهذا قد كان يحسن منه لولا أنهماكه في ملذاته الذي كان فيه هلاكه.

وقال أبو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد الصولى في كتاب الأخبار المنثورة من تأليفه: حدثني أبو الحسن على بن جَعْفَر الكاتب، حدثني أبى، قال: كان لزيادة الله بن عَبْد الله بن إبراهيم بن أحمد - وهو زيادة الله الأصغر، وكان أميراً بإفريقية - غلام فجل صبي يدعى خطاباً - وهو الذي اسمه في السكك - فسخط عليه وقيده بقيد من ذهب، فدخل يوما من الأيام صاحبه على البريد - وهو عَبْد الله بن الصائغ - فلما رأى الغلام مقيداً تأخر قليلاً، وعمل بيتين وكتب بهما إلى زيادة الله وهما:

يأيها الملك الميمون طائره ... رفقاً فإن يد المعشوق فوق يدك

كم ذا التجلد والأحشاء راجفة ... أغيذ قلبك أن يسطو على كبدك

فأطلق الغلام ورضى عنه، ووصل عَبْد الله الصائغ بالقيد الذهب.

ومن شعر زيادة الله ما حكى الصولى أيضاً في كتاب الوزراء من تأليفه أن العباس بن الحسن، لما استوزره المكتفى أبو مُحَمَّد على بن أحمد المعتد، أراد أن يريه أنه فوق الوزير قبله القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في التدبير، فاستأذنه في مخاطبة بن الأغلب هذا، ففعل، فوجه ابن الأغلب إليه برسول معه هدايا عظيمة ومائتا خادم وخيل وبز كثير وطيب،

ومن اللبوذ المغربية ألف ومائتان، وعشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم وألف دينار في كل عشرة دنانير، وكتب على الدنانير والدراهم في وجه:

يا سائراً نحو الخليفة قل له ... أن قد كفاك الله أمرك كله

زيادة الله بن عَبْد الله سيـ ... ـف الله من دون الخليفة سله

وفي الوجه الآخر:

ما ينبرى لك بالشقاق منافق ... إلا استباح حريمه وأحله

من لا يرى لك طاعة فالله قد ... أعماه عن طرق الهدى وأضله

٦٧ - مُحَمَّد بن زيادة الله بن مُحَمَّد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب، أبو العباس.

ولي لابن عمه إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد طرابلس، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك. وكان عالماً أديبا شاعراً خطيباً، مع عشرة لإخوانه، ولين جانب لأخدانه، لا ينادم إلا أهل الأدب. وكان أبوه زيادة الله قد ولى إفريقية بعد أخيه أبى إبراهيم احمد بن مُحَمَّد، وكان محمود السيرة ذا رأى ونجدة.

يروى عن سليمان بن عمران القاضي أنه قال: (ما ولى لبني الأغلب أعقل من زيادة الله الأصغر). سماه الأصغر لأنه سمى باسم عم أبيه زيادة الله ابن إبراهيم المتقدم ذكره. وبعدهما ولى زيادة الله بن عَبْد الله ثالثهم، وهو آخر ولاتهم.

ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على مُحَمَّد هذا ما يؤثر عنه من جميل، إلى أن قتله. وكان الذي هاجه لذلك وبعثه عليه - مع قدم حسده له - أنه وجه رسولاً إلى بغداد، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم، فقال المعتضد: عجباً من إبراهيم! ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولى عليه إحسان، فمضى إبراهيم قاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه

بغياً وحسداً، وقتل أولاده وعاث في أصاغرهم عيثه المشهور، حتى إنه شق جوف بعض نسائه عن جنينها جرأة على الله تعالى، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

وقرأت في تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق أن المعتضد كتب إلى إبراهيم من العراق: إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمك مُحَمَّد بن زيادة الله صاحب طرابلس، فخرج إبراهيم إلى طرابلس في خفية، وأظهر أنه يريد الخروج إلى مصر، حيلة منه، إلى أن ظفر به فقتله وصلبه. وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً.

قال: وكان مُحَمَّد هذا أديباً ظريفاً، ألف كتاب راحة القلب وكتاب الزهر وتاريخ بني الأغلب.

ومن شعره ما أنشده له أبو علي حسين بن أبي سعيد القيرواني صاحب الكتاب المعرب عن المغرب:

ومما شجا قلبي بتوزر أنني ... تناءيت عن دار الأحبة والقصر

غريباً، فليت الله لم يخلق النوى ... ولم يجر بين بيننا آخر الدهر

ومن بنى عمهم عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن الأغلب بن سالم، أبو العباس. ويعرف هو وأبوه مُحَمَّد وعمه الأغلب بن عَبْد الله، ببني عَبْد الله، وجده عَبْد الله - الذين يعرفون به - هو أخو أبي إسحاق إبراهيم بن الأغلب.

وكان عمه الأغلب ممن أنهض لحرب منصور بن نصر الطنبذى أيام زيادة الله ابن إبراهيم، فجند له جنده وانهزم.

وولى مُحَمَّد بن عَبْد الله لزيادة الله المذكور صقلية سنة سبع عشرة ومائتين، وفتح بها فتوحات. وقد كان زيادة الله أغراه إليها سنة أربع ومائتين - قبل فتحها على يد أسد بن الفرات بنحو من ثماني سنين - فسبى منها شيئاً كثيراً وانصرف.

ثم وليها ابنه عَبْد الله بن مُحَمَّد هذا لأبي عَبْد الله مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، المعروف بأبي الغرانيق، سنة تسع وخمسين ومائتين - وكان قد ولى قبل ذلك بحين أطرابلس - ثم وليها مرة أخرى بعد ولاية صقلية وولى أيضاً إماراة القيروان.

وكان أديباً شاعراً، طالباً للحديث والفقه. وهو القائل لما أتاه كتاب عزله عن طرابلس يخاطب أبا هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها، وكان له صديقاً:

قد أتى في الكتاب ما قد علمنا ... من تناء ورحلة وفراق

وعددنا الأيام فهي ثمان ... بعد خمس سريعة الإفتراق

فعليك السلام إن فراقي ... قد دنا، والفراق مر المذاق

obeikandl.com

ومن بني أخي الأغلب بن سالم:

٦٨- يعقوب بن المضاء بن سوادة بن سفيان ابن سالم بن عقال التميمي.

كان أبوه من أمراء بن عمه الأغالبة، ورغب يعقوب عن السلطان وولايته، وانصرف إلى النسك، ونزع السواد، وأعرض عن الدنيا ومال إلى الآخرة. وله بنون يتسبون إليه فيقال لهم اليعقوبية. وهو الذي توجه إلى العباس مُحَمَّد ابن الأغلب الكوسج، مع ابن عمه خفاجة بن سفيان بن سوادة، فأصلحا بينه وبين أخيه أحمد القائم عليه وأشارا بتأمينه، وقد تفاقم الخطب بينهما، فقيل ذلك مُحَمَّد في حديث طويل، ووصل إليه وعاتبه، ثم أمره بالتوجه إلى المشرق، فسار إلى العراق وبخا مات. ويعقوب هو القائل:

فإن تك لمتي كسيت بياضاً ... وبدل لي المشيب من الشباب

فقد عمرت ذا فرع أثيث ... كأن سواده حنك الغراب

فلا تعجل، رويدك، عن قريب ... كأنك بالمشيب وبالخضاب

٦٩- أحمد بن سفيان بن سوادة بن سفيان ابن سالم بن عقال.

وعقال هو ابن خفاجة بن عَبْد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حزام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وسالم بن عقال هو جد الأغالبة، وهو جد هؤلاء.

ولي أحمد هذا الزاب ثم ولي طرابلس وأعمالها سنين كثيرة، وله بها أخبار وآثار ووقائع مشهورة. وكان من الجنود بمكان رفيع، وهو أيضاً ممن قام بنصرة أبي العباس مُحَمَّد بن الأغلب على أخيه أحمد، مع أخيه خفاجة بن سفيان وابن عمهما يعقوب بن المضاء، حتى ظفر به أبو العباس وانحفظ سلطانه. وكذلك قام أبوه سفيان بن سوادة بأمر زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في حروبه، وكان سبب ثبات ملكه. وفي أحمد بن سفيان هذا يقول بكر بن حماد التاهرتي من قصيدة له:

وقائلة: زار الملوك فلم يفد ... فياليته زار ابن سفيان أحمدا

فتى يسخط المال الذي هو ربه ... ويرضى العوالي والحسام المهندا

وكان خفاجة بن سفيان - أخو أحمد هذا - من رجالات بنى عمه الأغالبة، وهو أكبر سنا مه وأجل حالا، وولى صقيلة فأقام بها مدة، ونصر على الروم فله فيهم فتوحات شهيرة.

ومن شعر أحمد:

قربـــوا الأبلـــق إني ... أعـــرف الخيـــل العتاقـــا
وعليهـــا أصرع الأب ... طـــال طعنـــاً واعتناقـــا
أخـــبط الأرواح والأن ... فـــس بـــالرمح صـــداقا
وأروى مـــن نجيـــع الـــ ... ـــهام أســـيافاً رقاقـــا
تنقـــع الأعـــداء في النقـــ ... ـــع حميـــاً وغـــساقا
فـــإذا مـــا دارت الـــ ... ـــحم بـــما نبغـــى وفاقـــا
وأزحنـــا كـــل مـــا كـــا ... ن شـــقاقاً ونفاقـــا
اصـــطبحناها ســـلافاً ... وشربناهـــا اغتباقـــا
وأدرنـــا الكـــاس بـــالرا ... ح عـــلى الـــشرب دهاقـــا

وله أيضاً من قصدية أخرى:

إنـــما الأبلـــق حـــصنى ... ثـــم رمحـــى وحـــسامي
فيـــه عـــز لعـــشيري ... وبـــه عـــنهم أحـــامي
وبـــه أشـــفى مـــن الأعـــ ... ـــداء صـــدري بانتقـــام
أنـــا مـــن سر نـــزار ... وابـــن ســـادات كـــرام
أنـــا مـــن ســـعد تمـــيم ... لـــست مـــن ســـعد جـــذام
أنـــا مـــن قـــد جـــال ذكـــرى ... وجـــرى بـــين الأنـــام
بـــاحتمالي كـــل ثقـــل ... في الملـــمات العظـــام
وســـدادى كـــل ثغـــر ... ثـــم حزمـــي وقيـــامي
أنجبتنـــي الـــسادة الـــصيـ ... ـــد، همـــام لهـــمام

سالم قد كان جدى ... ثم سفيان المحامى
أركب الهول بكرا ... تي على الجيش اللهام
أخطف الأرواح كالصقـ ... ـر لأرواح الحمام
تعرف الأنبس بأسى ... فهي من فوقي حوام
ميزت في الحرب رايا ... تي وأرماحي الدوامى
فهي حولي عاكفات ... وهي خلفي وأمامي
ترقب الطعم الذي عو ... دتها يوم صدامي
أبداً تعرف مني ... هكذا في كل عام
فإذا ما آلت السلـ ... ـم وصرنا للمدام
أبصرت عيناك منا ... أنجماً تحت الظلام
يتلاقى ونبدى ... بتحيات السلام
وننيل الزائر المعـ ... ـروف من قبل الكلام

ومن رجال الأغالبة:

٧٠- مجبر بن إبراهيم بن سفيان.

كان من أهل الشرف والثروة، وولاه إبراهيم بن أحمد الأربس وغيرها، وكان ينادمه لحذقه الغناء، ثم أخرجه إلى صقلية وولاه العسكر الذي بمسين وأرض قلورية بعد وقعة ميلاص فخرج في شيني يريد قلورية، فأسرته الروم وحمل إلى القسطنطينية فمات بها. وهو القائل في أسره، من قصيدة طويلة بعث بها من محبسه عند الروم ورواها في أيام بني الأغلب أكثر الناس:

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهر ... بإخواننا يا قيروان ويا قصر
ونحن فإنا طخطختنا رحى النوى ... فلم يجتمع شمل لنا، لا ولا وفر
رأينا وجوه الدهر وهي عوابس ... بأعين خطب في ملاحظها شزر

وآخر هذه القصيدة:

لعل الذي نجى م الجب يوسفاً ... وفرج عن أيوب إذ مسه الضر
وخلص إبراهيم من نار قومه ... وأعلى عصا موسى فذل له السحر
يصبر أهل الأسر في طول أسرهم ... على معضلات الأسر، لاسلم الأسر!

٧١- أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن حمزة بن السبال.

بالباء، بواحدة واللام ويعرف حمزة بالحرون، وقد تقدم ذكره وابنه مُحَمَّد بن حمزة هو الذي وجهه زيادة الله بن إبراهيم للقبض على منصور الطنبذي بقصره بالمُحَمَّدية، فكاده. وقتل مُحَمَّد هذا في وقعة سبيبة، أيام خلاف منصور والجند على زيادة الله.

وكان أحمد بن مُحَمَّد حاجباً لإبراهيم بن أحمد ومقدماً عنده، قد فوض إليه أموره. وولى ابن عمه القيروان. وهو من بيت رئاسة وقيادة، مع علم واسع وأدب بارع؛ ومن شعره:

ليس كل الذي يدار علينا ... من أمور يوافق المقدورا
قد قضى الله ما لنا وعلينا ... قبل أن يبرم العدو الأمورا

٧٢- الحسن بن منصور بن نافع بن عَبْد الرَّحْمَن بن عامر ابن نافع بن محمية المسنى المذحجي، أبو علي.

من بيت قيادة وإمارة؛ وكان جد أبيه عَبْد الرَّحْمَن بن عامر، وابن عمه عامر ابن إسماعيل بن عامر بن نافع، ممن قدم مع مُحَمَّد بن الأشعث الخزاعي من قواد العباسية. وخرج عمه عامر بن نافع على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب؛ وسيأتي ذكره. وعامر بن إسماعيل هو الذي قتل مَرْوَان الجعدين وكان مقدماً عند أبي العباس والسفاح ومن بعده لأجل ذلك.

وكان الحسن بن منصور هذا يجمع إلى شرف آبائه وأهل بيته علماً واسعاً وأدباً كاملاً، وأقل ما تصرف فيه الشعر. وكان بصيراً باللغة، نافذاً في النحو، عالماً بأيام العرب وأخبارها، ووقائعها وأشعارها. وهو القائل يرثي ابن عم له يكنى أبا الفضل، من قصيدة طويلة أولها:

حل أمر لم يغن فيه احتيال ... يقصر الوصف دونه والمقال

كان من قبله البكاء حراماً ... وهو من بعد للعيون حلال

ومنها:

يا أبا الفضل حملتني المنايا ... منك ما لا تقوى عليه الجبال

وكأني لما تضمنك اللحـ ... ـد يمين قد فارقتها الشمال

وله:

يا قاتلي ظلماً، ألم تخش ما ... جاء به التنزيل والآي؟

وأيت بالوعد فما ضركم ... لو صدق الميعاد والواى؟

نأيت عني فتبدلتني ... كذا لعمري يفعل الناي

فإن يكن هجري من رأيكم ... فليس لي في هجركم رأى

وله يخاطب ابن عمه أبا العرب بن عامر بن نافع:

يا من سما للمكرمات فحازها ... وغدا وأصبح للسماح مليكا

إن الإله بمنه وبفضله ... جمع المكارم والمفاخر فيكا

أشبهت آباء كراماً سادة بيض الوجوه معظمين ملوكاً

وجه إلينا بالمسبح إنني تفديك نفسي قد ضمنت الديكا

ولهذه الأبيات قصة ذكرها صاحب الكتاب المعرب عن أبناء المغرب.

٧٣- عَبْد الله بن الصائغ، المعروف بـ(صاحب البريد).

أحد ولاة زيادة الله بن عَبْد الله آخر ملوك بنى الأغلب وأصحابه المخصوصين بلطف المنزلة عنده، وتغير عليه آخراً فقتله بطرابلس عند انتقاض دولته وهربه إلى مصر أمام الشيعي في سنة ست وتسعين ومائتين؛ وقد تقدم من خبره ومن شعره ما أغنى عن إعادته. وهو القائل أيضاً:

رأيت دجناً فقلت الراح أشبه بي فقم بنا أيها المخمور نصطبح

فقام يمسح وجهاً كله قمر وقمت ألثمه من شدة الفرح

وله:

طالعتني طوالع الشوق لما أن بدا البدر في مثال طلوعك

يا غزالاً أقسى من الصخر قلباً ليت قلبي يبيت بين ضلوعك

أنا أرضى أ، أقبل نعليـ ـك على قبح ما بدا من صنيعك

وله:

إذا قلت: زرني، قال: قالوا وشنعوا ترى هكذا من كان فينا يصدق؟

فيا كبدي رقى على الكبد التي أقامت على عهد الهوى وهي تحرق

كأني إذا ما الليل أرخى سدوله بقلبي إلى بعض النجوم معلق

أول ملوك الشيعة الناجمين في آخر هذه المائة:

٧٠٤- عبيد الله الملقب بـ(المهدي)، أبو مُحَمَّد[1].

قال الرازي: اختلف الناس في نسب عبيد الله. فقال قوم: هو عبيد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن البصري من مدينة سلمية. وزعم هو أنه عبيد الله بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قال: وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرسى الحسني أنه قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما عبيد الله منا. ولا أقول هذا لما فعل، فقد فعل من لا يشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع.

وقال أبو بكر بن الطيب الباقلاني، وذكر عبيد الله وبنيه: هم أدعياء، إذ هم بنو عبيد الله بن ميمون القداح، ادعوا إلى علي بن أبي طالب؛ وذكر لهم قصة طويلة.

وأهل مصر يصححون نسبهم.

وذكر ابن أبي الظاهر في أخبار بغداد أنا اسم الخارج بالقيروان عبيد الله بن عَبْد الله بن سالم، مولى مكرم بن سندان الباهلي صاحب شرط زياد المنسوب إليه عسكر مكرم، فانتقل عَبْد الله بن سالم إلى سلمية. وكان وكيلاً للتجار، وقيل كان يبيع الصقر ويتشيع. فلما خرج القرمطي بالشام أضر به وطالبة، فهرب إلى مصر ثم إلى المغرب، وكان يعرف بابن البصري.

قال الرازي: ودخل معه - يعني القيروان - ابنه مُحَمَّد المعروف بأبي القاسم واختلفوا في اسمه ونسبه، فطائفة قالت: عَبْد الرَّحْمَن ابنه، وطائفة قالت: مُحَمَّد ربيبه. ويقال إن عبيد الله من بني حسن بن علي، وأن أبا القاسم القائم بعده من بني الحسين بن علي، إسماعيل تزوج عبيد الله أمه وهي رومية تسمى لعب.

وقيل في اسم أبي القاسم عَبْد الرَّحْمَن ومُحَمَّد كما تقدم، وقيل حسن ويكنى أبا جَعْفَر. خرج به عبيد الله من الشام يتصدى للسلطان، ويخاطر في طلب الملك قاصداً المغرب، وعبيد الله إذ ذاك شاب عند كماله. وخرج معه خاصته وثقات رجاله، ولما انتهى إلى مصر أمل أن

---

(١) الوافي بالوفيات ٧/ ٣٦٦.

يقصد اليمن، ثم كره ذلك فخرج من مصر في زي التجار، وخلص من بد عاملها في قصة طويلة، وانتهى إلى سجلماسة فدان له المغرب واجتمعت عليه البربر. وزحف داعيته أبو عَبْد الله الشيعي بهم إلى زيادة الله الأغلبي فكسر جيشه في سنة ست وتسعين ومائتين - حسبما ذكر قبل - فهرب زيادة الله إلى مصر. وبويع لعبيد الله بر قادة يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين، وكان وصوله إليها يوم الخميس قبله، ودعى له بالإمامة.

وفي هذه السنة انقرض ملك بني الأغلب بعد مائة سنة واثنتي عشرة سنة، وملك بنى مدرار بسجلماسة بعد مائة سنة وستين سنة، وملك بني رستم بتاهرت عن مائة وثلاثين سنة.

وكثرت السعايات بأبي عَبْد الله الشيعي - وهو الذي مهد لملك عبيد الله وشد سلطانه مجالداً ومجادلاً - فقتله وأخاه أبا العباس يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة سنة ثمان وتسعين، وأمر بدفنهما في بستان القصر.

ثم ابتدأ بناء المهدية يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلثمائة، وارتاد مواضعها؛ وقصد التحصين بها على أهل بيته لا كانوا يتحدثون به من ظهور أبى يزيد الخارج عليهم وعيثه في ملكهم، فكان ذلك. وفي بنائها يقول بعض شعراء إفريقية:

خطت بأرجاء المغارب دار ... دانت لها الأمصار والأقطار

لانت ببرد الماء لما أيقنت ... أن القلوب على الحسين حرار

وكان انتقال عبيد الله إليها في شوال سنة ثمان وثلاثمائة، بعد أن ملك إفريقية وأعمال المغرب وطرابلس وبرقة وصقلية.

وسير ولى عهده أبا القاسم إلى مصر دفعتين: الأولى في سنة إحدى وثلاثمائة، فملك الإسكندرية والفيوم وجبي خراجها وخراج بعض أعمال الصعيد، وعاد إلى المغرب في سنة اثنتين وثلاثمائة؛ والثانية سنة ست وثلاثمائة، فملك الإسكندرية أيضاً.

ولم يزل سلطانه يتمهد، وظهوره يتزيد، إلى أن توفي منتصف شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، فكانت ولايته - منذ وصل إلى رقادة وبويع بها، إلى يوم وفاته - أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً. وقيل كانت خلافته - من يوم ظهوره بسجلماسة في أول

ذي الحجة سنة ست وتعسين ومائتين وفيها سلم عليه بالخلافة، إلى يوم وفاته بالمهدية - خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وهو ابن اثنتين وستين سنة. مولده سلمية - وقيل ببغداد - سنة ستين ومائتين. ومولد أبي القاسم ابنه سنة تسع وسبعين، وقيل سنة ثمانين.

وكان، مع نجدته وشهامته، مفوهاً فصيحاً عالماً أديباً. قال أبو عبيد البكري: لما تغلب عبيد الله الشيعي، كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدبر بإمامته، وكتب بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح، وكان والياً على تكور وما إليها من أعمال المغرب لبني مَرْوَان؛ وكتب في أسفل كتابه أبياتا كثيرة، منها:

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم ... وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلاً

وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم ... وأدخلها عفواً وأملؤها عدلاً

قال: فأجابه رجل من شعراء الأَنْدَلُس من أهل طليطلة يعرف بالأخمش، أمره سعيد بن صالح بذلك:

كذبت، وبيت الله، لا تحسن العدلا ... ولا علم الرَّحْمَن قولك الفصلا

وما أنت إلا جاهل ومنافق ... تمثل للجهال في السنة المثلى

وهمتنا العليا لدين مُحَمَّد ... وقد جعل الرَّحْمَن همتك السفلى

وكان عبيد الله إذا رأى ابنه أبا القاسم ونظر إليه فسربه يقول:

مبارك الطلعة ميمونها ... يصلح للدنيا وللدين

٧٥- أبو عَبْد الله الشيعي، داعية عبيد الله المهدي.

كان - مع قوده الجيوش وخوضه الحروب - عالماً أديباً شاعراً. وهو الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه، نائباً عن عبيد الله وناصراً لمذهبه وداعياً إلى دعوته. وزحف إلى القيروان ونازلها، وبها جمهور أجناد إفريقية، فدخلها واستولى على رقادة - دار ملك الأغالبة حينئذ - وعلى أعمال إفريقية.

وقدم عَبْد الله بعد ذلك من سجلماسة[1]، فبويع له وقوى أمره واشتد سلطانه، ولم يلبث أن قتله وأخاه أبا العباس - وكان أكبر منه، كما تقدم وصف ذلك - تولى قتلهما عروبة الكتامي، ثم قتل عروبة هذا منافقاً واستوصل أهل بيته في أيام عبيد الله. وأبو عَبْد الله الشيعي هو القائل بعد إيقاعه بجيش بنى الأغلب:

من كان مغتبطاً بلين حشية ... فحشيتي وأريكتي سرجي

من كان يعجبه ويهجه ... نقر الدفوف ورنة الصنج

فأنا الذي لا شئ يعجبني ... إلا اقتحامي لجة الرهج

سل عن خميس إذ طلعت به ... يوم الخميس ضحى على الفج

البيت الأول من هذه القطعة كقول امرئ القيس:

يا رب غانية صرمت حبالها ... ومشيت متئداً على رسلي

وأبيات القصيدة كلها على خلاف ذلك. وكقول الآخر، ويستشهد به العروضيون:

لمن الديار برامتين فعاقل ... درست وغير آيها القطر

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٢/ ٤٣٣: سِجِلْمَاسَةُ: بكسر أوله وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة، مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل درَن وهي في وسط رمال كرمال زَرُود ويتصل بها من شماليها جدَدٌ من الأرض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلاً مد البصر وعلى أربعة فراسخ منها رستاق يقال له: تيومتين على نهرها الجاري فيه من الأعناب الشديدة الحلاوة مالا يُحد وفيه ستة عشر صنفاً من التمر ما بين عجوة ودقل وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة ولنسائهم يدُ صناع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الأزار خمسة وثلاثين ديناراً وأكثر كأرفع ما يكون من القصب الذي بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بأنواع الأصباغ وبين سجلماسة ودرعة أربعة أيام وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها.

وهي من الضرب الأحذ المضمر من ضروب العروض الأول من أعاريض الكامل، وعكسه وهو من الشاذ:

ولنعم حشو الدرع أنت إذا نهلت من العلق الرماح وعلت

obeikandl.com